

# الإعلام

بأن التصوف من شريعة الإسلام

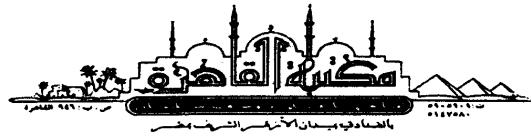
للإمام الحافظ الحجة

أبى الفضل

عبد الله الصديق، الغمارى الحسنى الإدريسي

الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الناشر





رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٩٨ / ٨٤٣٠

الترقيم الدولي I.S.B.N

977-5437-47-4

حقوق الطبع والنشر والتوزيع والنقل والترجمة  
محفوظة للناشر

**مكتبة القاهرة**  
**على يوسف سليمان وأولاده**

١٢ ش الصناديقية بالأزهر الشريف ت : ٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٥١٤٧٥٨٠

ص . ب ٩٦٤ العتبة - القاهرة

جمهورية مصر العربية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين على ما توالى من النعم، والشكر له على ما خص منها وعم،  
والصلاة والسلام على النبي الأعظم، الذى رسم لنا الطريق الأقوم، وعلى آله وصحبه  
وأمتهم أشرف الأمم.

أما بعد : فهذه رسالة لطيفة، تناولت موضوعاً هو من أهم مواضيع الساعة، ألا وهو  
علم التصوف أو السلوك والأخلاق، كتبها الفقيه الأصولي الضليع، الشيخ / عبدالله بن  
الصديق الغماري - رحمه الله تعالى - وسماها «الإعلام، بأن التصوف من شريعة  
الإسلام» وكان القصد منها الدفاع عن هذا العلم وأهله، والرد على من زعم أن التصوف  
دخيل على الإسلام.

والحقيقة التى لا جدال فيها هى أن التصوف جزء من الإسلام يصوره لنا قوله ﷺ  
حين يقول : «ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد  
الجسد كله، ألا وهى القلب» محط العناية والأنظار، عند أهل التصوف الأخيار.

وأما قوله ﷺ «الإحسان» أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فمقام  
عظيم فى الدين، يناله أهل الإيمان واليقين، وهو شامل لمقامين عظيمين، هما المراقبة  
والمشاهدة، جعلنا الله تعالى ممن شاهده.

فالصوفى فى الحقيقة لا يفارق السلف فى معتقده، ولا يفارق الفقهاء فى معتمده،  
لأن العقائد رأس ماله، والأحكام أساس أعماله، فهو آخذ بالاحوط من المأمورات،  
مجتنب للمنهيات، مقتصر على الضروريات من المباحات، همه تخلية القلب من  
الذائل، وتخليته بالفضائل، متبعاً فى ذلك أصحاب الحديث، لما هم عليه فى ذلك من  
التحقيق والتثبت، غايته : إفرااد القلب لله دون ما سواه.

فالتصوف - فى نظرى - أولى قضايا العصر الحالى، فينبغى الاهتمام به علماً وعملاً،

وما أصاب الأمة اليوم من تراجع وخذلان إنما داؤه غياب تلك المعاني النبيلة، والصفات الحميدة، المأخوذة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

فعندما فهم السلف معاني التصوف على حقيقتها وعملوا بها كان لهم السبق في جميع الميادين، فشغلوا نفوسهم بالاستقامة والتقوى للذين هما أساس الدين وقوامه، لقوله ﷺ مخاطباً الأمة في شخص أحد صحابته «قل آمنت بالله استقم» وقوله لآخر: «أتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

وقد اشتهر عن الإمام مالك - رضى الله عنه - مقولة تنبئ عن أهمية التصوف في الإسلام، حيث يقول: «من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق» نقلها زروق في قواعده - رحمه الله تعالى - وكذا أنشد الإمام الشافعي - رضى الله عنه - بيتين رائعين في تلازم الفقه والتصوف، فقال:

فقيهاً وصوفياً فكن ليس واحداً

فإننى وحق الله إياك أنصح

فذاك قاس لم يذق قلبه تقى

وهذا جهول فكيف يصلح

ولا أحد من الصادقين في السلوك إلى الله تعالى ينكر ما شاب أهل التصوف من بدع وخرافات، ابتعدوا بها عن الإسلام ومنهجه، إلا من رحم الله، وقليل ما هم، وإن كان العلامة الفقيه والصوفي المتين: زروق الفاسي - رحمه الله تعالى - قد نفى وجود الشيخ الصالح، والمربي الناصح، في زمانه - وهو القرن التاسع الهجري - فلا غرابة في نفى وجوده في هذا الزمان،

على أن شيوع تلك البدع في كثير من الصوفية الآن، لا يمس أصل التصوف من قريب أو بعيد بحال من الأحوال، فكما لا ربط بين المسلمين وبين الإسلام في الحكم عليه، لقصور المسلمين عن القيام بواجبهم تجاه الإسلام، لا ربط أيضاً بين التصوف وأهله إذ هو جزء منه، فلا يعتبر صنيع القوم، ولا واقع تاريخهم شهادة على التصوف، بقدر ما هو شهادة على الصوفية، فإن كان في تطبيقهم للتصوف ما يساير قواعده تلك الباقية المثالية فذاك، وإلا فذنبهم في ذلك على جنبهم، وليس على التصوف إثم شيء منه.

\* \* \*



ولم يكن عملي في هذه الرسالة إلا بعض تصحيحات لأخطاء مطبعية كانت قد وقعت في طبعتها الأولى، مع كتابة شيء من التعليقات اقتضتها موضوعات الرسالة، وللمؤلف نفسه بعض تعليقات رمزت إلى كل واحدة منها بوضع حرف « ف » في آخرها فليعلم ذلك .

وأسأل الله أن يكون قصدنا في الأقوال والأفعال وجهه - تعالى - وأن يوفقنا لما فيه رضاه، ويقطعنا عن كل شيء سواه، وأن يملأ قلوبنا من حبه وحب رسله، ويذيقنا لذة الوصل من فيض فضله، وأن يأخذ بأيدينا إن زللنا، ويسامحنا إن أخطأنا، إنه هو الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم. آمين.

وكتبها العبد الضعيف :

**عصام محمد الصاري**

عفى الله عنه

## سُورَةُ الْخُرُوجِ الْحَمِيدَةِ

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

[ الشورى: ٤٢ - ٤٣ ]

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٧) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

[ الأحزاب: ٧٢ - ٧٣ ]

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

[ التكويد: ٢٩ ]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى منح أوليائه جزيل عطائه، ووهب أصفياه جليل حياته<sup>(١)</sup>، تجلى لهم بمظهر من مظاهر أسمائه، فتأهت عقولهم فى مشاهدة عظمته وكبريائه، وطافت أرواحهم هائمة فى قدس سنائه، وأفناهم عن أنفسهم فلم يشهدوا سواه فى أرضه وسمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نذرها ليوم لقائه، ونستوجب بها جميل جزائه<sup>(٢)</sup>، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل رسله وأنبيائه، أفاض عليه موله من أنواع العلوم والمعارف ما تنوء الجبال الشم بحمل أعبائه، صلى الله وسلم عليه صلاة وسلاماً خالدين مع خلود الدهر، باقيين بعد فناءه، ورضى الله عن آله الكرام حماة الدين، الدافعين عنه بالسيف والبرهان حملات أعدائه، وعن أصحابه الفخام، والتابعين لهم بإحسان إلى قيام الساعة وساعة القيام.

(أما بعد) فإن التصوف كبير قدره، جليل خطره، عظيم وقعه، عميق نفعه، أنواره لأمعة، وأثماره يانعة، وأديه قريع<sup>(٣)</sup> خصيب، وناديه يندو<sup>(٤)</sup> لقاصديه من كل خير بنصيب، يزكى النفس من الدنس، ويظهر الأنفاس من الأرجاس، ويرقى الأرواح إلى مراقى الفلاح، ويوصل الإنسان إلى مرضاة الرحمن.

وهو - إلى جانب هذا - ركن من أركان الدين، وجزء متمم لمقامات اليقين، خلاصته: تسليم الأمور كلها لله، والالتجاء فى كل الشئون إليه. مع الرضا بالمقدور، من غير إهمال فى واجب ولا مقاربة المحذور، كثرت أقوال العلماء فى تعريفه، واختلفت

(١) حياته: بكسر الحاء المهملة - أى عطائه.

(٢) أى ونستحق بها جزاءه الجميل، إذ لا يجب على الله شئ.

(٣) قوله «قريع» بقاء وعين مهملة، كذا فى الأصل المطبوع، ولعله تصحيف صوابه «نريع» بقاء وعين

معجمة، أى واسع عريض. راجع «اللسان».

(٤) قوله «يندو» أى يكثر العطاء لهم والتسخى عليهم، ومنه قول الشاعر:

لولا كنتائب من عمرو يصول بها

أرديت يا خبيرو من يندو له النادى.

انظارهم فى تحديده وتوصيفه، وذلك دليل على شرف اسمه ومسماه، ينبئ عن سمو غايته ومرماه، فقليل: التصوف: الجد فى السلوك، إلى ملك الملوك، وقيل: التصوف: الموافقة للحق، والمفارقة للخلق. وقيل: التصوف ابتغاء الوسيلة، إلى منتهى الفضيلة. وقيل: التصوف: الرغبة إلى المحبوب، فى درك المطلوب. وقيل: التصوف: حفظ الوفاء وترك الجفاء. إلى غير هذا من الأقوال التى تبلغ نحو ألف حكاهها الحافظ الصوفى أبو نعيم الأصفهاني فى كتابه «حلية الأولياء» وسئل الإمام أبو القاسم الجنيد -سيد الطائفة- عن التصوف، فقال: (تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الاخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدواعى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ فى الشريعة) ١ هـ. ولعل هذا أبلغ ما قيل فى التصوف وكشف حقيقته، وإن كانت الأقوال السابقة مختلفة فى اللفظ والمبنى، فهى متفقة فى الغاية والمعنى. وإنما عبر كل قائل بحسب مدركه ومشربه<sup>(١)</sup>، وعلى نحو اختلافهم فى التصوف اختلفوا فى معنى الصوفى واشتقاقه، فقال الإمام أبو على الروذبارى وقد سئل عن الصوفى: (من لبس الصوف على الصفاء، وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى ﷺ). وقال الإمام سهل بن عبد الله التستري<sup>(٢)</sup>: (الصوفى من صفا عن الكدر، وامتلا من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر،

(١) وما أحسن ما أنشده العلامة ابن الحاج فى المدخل -رحمه الله تعالى- حيث يقول:

ليس التصوف ليس الصوف ترقعه  
ولا بكأوك إن غنى المغنونا  
ولا صياح ولا رقص ولا طرب  
ولا اختباط كان قد صرت مجنونا  
بل التصوف: أن تصفو بلا كدر  
وتتجمع الحق والقرآن والدينا  
وإن ترى خاشعاً لله مكتئباً  
على ذنوبك طول الدهر محزوناً

نقل هذه الأبيات العلامة: محمد الأمير -رحمه الله تعالى- فى حاشيته على جوهرة التوحيد، ص ١٦٣.

(٢) بضم التاء الأولى وفتح الثانية، وسهل هذا هو القائل: (الناس هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم) وكثير من الناس يعتقدونه حديثاً وليس كذلك. (ف).

واستوى عنده الذهب والمدر<sup>(١)</sup>، وأنشد الإمام تقي الدين السبكي:

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا

قذما وظنوه مشتقاه من الصوف

ولست أنحل هذا الاسم غير فتى

صافى فصوفى حتى لقب الصوف

وهذان البيتان لأبى الفتح البستى. وقال العلامة الشيخ محمد ميارة المالكى فى شرح المرشد المعين: (وفى اشتقاق التصوف أقوال، إذ حاصله اتصاف بالمحامد، وترك للأوصاف المذمومة وقيل: من الصفاء). وقال المحقق أبو حفص الفاسى المالكى: (ظهر لى أنه منسوب إلى الصوف، لأنه فى الغالب شعاره ودثاره<sup>(٢)</sup>)، ولأن هذا اللفظ -يعنى لفظ صوفى- مشتمل على ثلاثة أحرف منقطعة من ثلاث كلمات دالة على ثلاثة معان هى أوصافه المختصة به، فالصاف من الصفاء، والواو من الوفاء، والفاء من الفناء). قال العلامة ابن الحاج: (وقد أشرت إلى ذلك فى ثلاثة أبيات، فقلت:

صفا منهل الصوفى عن علل الهوى

فما شاب ذاك الورد من نفسه حظ

ووفى بمعهد الحب إذ لم يكن له

إلى غير من يهوى التفات ولا لحظ

(١) وقد ذكر الإمام شهاب الدين عمر السهروردى -رحمه الله تعالى- فى كتابه «عوارف المعارف» (٢٠٨/١) ضابطاً يجمع جمل معانى تلك الأقوال، فقال: «الصوفى: هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوائب النفس، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه، فبدوام الافتقار ينقى من الكدر، وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفر منها إلى ربه.. فلا بد للصوفى من دوام الحركة، بدوام الافتقار، ودوام الفرار، وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس. ومن وقف على هذا المعنى يجد فى معنى التصوف جميع المتفرق فى الإشارات» ١هـ.

(٢) الشعار: -بالكسر- ما ولى الجسد من الثياب، والدثار: ما كان فوق الشعار من الثياب، وهو أيضاً بالكسر.

## محت آية الإظلام شمس نهارة

وقد ذهب منه الإشارة واللفظ<sup>(١)</sup>

ثم إن التصوف مبني على الكتاب والسنة، لا يخرج عنهما قيد أنملة<sup>(٢)</sup>. قال الإمام الجنيد: (علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة) وقال أيضاً: (الطريق إلى الله تعالى مسدود، إلا على المفتين آثار رسول الله ﷺ). وقال سهل التستري: أحد أئمة القوم: (أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب المعاصي، والتوبة، وأداء الحقوق).

وقال أبو العباس المثلث: أحد كبار الصوفية: (لم تكن الأقطاب أقطاباً، والأوتاد أوتاداً، والأولياء أولياء، إلا بتعظيمهم رسول الله ﷺ. ومعرفتهم به، وإجلالهم لشريعته، وقيامهم بآدابه). وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي الغماري: (من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو مدعى). وقال: (ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بكل الشعير والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. وقال أيضاً: (ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان، ومتابعة السنة، فمن أعطيها وجعل يشاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب، أو ذو خطأ في العلم والصواب، كمن أكرم بشهادة الملك فاشتاق إلى سياسة الدواب). وقال تاج الدين السبكي في جمع الجوامع: وهو من الكتب المقررة في الأزهر: (ونرى أن طريق الشيخ الجنيد وصحبه طريق مقوم). قال شارحه الجلال المحلى: (فإنه خال من البدع، دأب على التسليم والتفويض والتبري من النفس... وقال التاج السبكي أيضاً في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم»: (الصوفية

(١) وقيل إن الصوفية نسبة إلى صوفة وهو أبو حنيفة من مضر، سمي صوفة لأن أمه جعلت في رأسه صوفة وجعلته ربيطاً للكعبة يخدمها، واستمر أولاده بعده يخدمونها. ويقال لهم صوفان، قال الزمخشري في أساس البلاغة: وآل صوفان كانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون، ولعل الصوفية نسبت إليهم تشبيهاً بهم في التنسك والتعبد، أو إلى أهل الصفة، فيقال مكان الصنفية: الصوفية بقلب إحدى الفاءين وأوا للتخفيف. (ف).

(٢) القيد: -هكسر القاف الممدودة- أي القدر. والأنملة: واحدة الأنامل، رؤوس الأصابع التي فيها الظفر، وهي بفتح الهمزة، وفتح الليم أكثر من ضمها، وابن قتيبة يجعل الضم من لحن العوام، وقال في المختار: «وأما ضم الميم فلا أعرف أحداً ذكره غير المطرزي في المغرب» وجاء في القاموس والمصباح أن فيها تسع لغات، بثلاث الميم والهمزة.

حياتهم الله وبياهم، وجمعنا في الجنة نحن وإياهم، وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها، والصحيح أنهم المعرضون عن الدنيا، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة. ومن ثم قال الجنيد: التصوف استعمال كل خلق سنى، وترك كل خلق دنى. وقال أبو بكر الشبلى -تلميذ الجنيد-: التصوف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك. وقال ذو النون المصري: الصوفى من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإذا سكنت نطقته عنه الجوارح بقطع العلائق. وقال على بن بندار -تلميذ الجنيد-: التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهراً وباطناً، وهذه عبارات متقاربة. والحاصل: أنهم أهل الله وخاصته، الذين تترجى الرحمة بذكرهم، ويستنزل الغيث بدعائهم، فرضى الله عنهم وعنا بهم، وللقوم أوصاف وأخبار اشتملت عليها كتبهم، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله: جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه -صلوات الله عليهم وسلامه- جعل الله قلوبهم معادن أسراره، واختصهم بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق. ومن أوصاف هذه الطائفة الرأفة والرحمة والعفو والصفح وعدم المؤاخذه).

وقد كثر في هذا الزمان الذى طغى شره على خيره، من ينكر التصوف ويزعم أنه دخيل على الإسلام، جاء به مسلمة الكتابيين والبوذيين ومن على شاكلتهم، وأن الصوفية أصحاب بدع وخرافات، إلى غير ذلك من الدعاوى التى يابها العقل، ويكذبها النقل، فانتدبنا لإبطالها بهذا الكتاب الذى نرجو الثواب عليه من الله تعالى، والتزمنا فيه إيراد الأدلة من الكتاب والسنة، وقصدنا إيضاح الدلالة بعبارة مبسطة هادئة خالية من التعقيد، مع الاستشهاد بكلام أئمة المسلمين وعلمائهم، ومن الله نستمد المعونة والتوفيق.

فى فتوى لمولانا الشيخ الإمام الوالد رضى الله عنه -أجاب بها من سأل عن أول من أسس الطريقة؟ وهل تأسيسها بوحي سماوى؟- جاء فيها: وأما أول من أسس الطريقة؟ وهل تأسيسها بوحي؟... الخ فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوى فى جملة ما أسس فى الدين المحمدى، إذ هى بلاشك مقام الإحسان الذى هو أحد أركان الدين الثلاثة التى جعلها النبى ﷺ بعد ما بينها واحداً واحداً ديناً، فقال «هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم» فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه. هو مقام الإحسان، بعد

تصحيح الإسلام والإيمان، ليحرز الداخل فيها والمدعو إليها مقامات الدين الثلاثة الضامنة لحرزها والقائم بها السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، والضامنة أيضاً لحرزها كمال الدين، فإنه - كما في الحديث - عبارة عن الأركان الثلاثة، فمن أدخل بمقام الإحسان الذي هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك، لتركه ركناً من أركانه، ولهذا نص المحققون على وجوب الدخول في الطريقة وسلوك طريق التصوف وجوباً عينياً، واستدلوا على الوجوب بما هو ظاهر عقلاً ونقلًا.

ولسنا بصدد بيان ذلك الآن. وقد بين القرآن العظيم من أحوال التصوف والطريقة ما فيه الكفاية، فتكلم على المراقبة والمحاسبة والتوبة والإنابة والذكر والفكر والحب والتوكل والرضا والتسليم والزهد والصبر والإيثار والصدق والمجاهدة ومخالفة الهوى والنفس، وتكلم على النفس اللوامة والأمانة والمطمئنة، وعلى الأولياء والصالحين والصديقين والمؤيدين، وغير هذا مما يتكلم فيه أهل التصوف والطريقة رضى الله عنهم، فاعرف وتأمل. وأما قولك: هل لما أسست الطريقة؟.. الخ فجوابه يعلم مما قبله، فإنها إذا كانت من الدين - بل هي أشرف أركانه - وكانت بوحي كما قلناه، وكان الصحابة بالحالة التي بلغتنا عنهم تواتراً، من المسارعة إلى امتثال أمر الله، كانوا بالضرورة أول داخل فيها، وعامل بمقتضاها، وذائق لأسرارها وثمراتها، ولهذا كانوا على غاية ما يكون من الزهد في الدنيا، والمجاهدة لأنفسهم، ومحبة الله ورسوله، والدار الآخرة، والصبر والإيثار، والرضا والتسليم وغير ذلك من الأخلاق التي يحبها الله ورسوله، وتوصل إلى قربهما، وهي المعبر عنها بالتصوف والطريقة. وكما كانوا - رضى الله عنهم - على هذه الحالة الشريفة كان أتباعهم أيضاً عليها، وإن كانوا دونهم فيها، وكذلك كان أتباع التابعين. وهلم جرا إلى أن ظهرت البدع، وتأخرت الأعمال، وتنافس الناس في الدنيا، وحييت النفوس بعد موتها، فتأخرت بذلك أنوار القلوب، ووقع ما وقع في الدين، وكادت الحقائق تنقلب، وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة، ولم يزل ذلك يزيد سنة بعد سنة إلى أن وصل ذلك إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على الدين. فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدين الشريف، فقامت طائفة منهم لحفظ مقام الإسلام وضبط فروع وقواعده، وقامت أخرى بحفظ مقام الإيمان وضبط أصوله وقواعده على ما كان عند سلفهم الصالح، وقامت أخرى بحفظ مقام الإحسان وضبط أعماله وأحواله.



فكان من الطائفة الأولى الأئمة الأربعة وأتباعهم -رضى الله عنهم- وكان من الطائفة الثانية الأشعرى وأشيأه وأصحابه، وكان من الطائفة الثالثة الجنيد وأشيأه وأصحابه. فعلى هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة، لما ذكرناه من أنها بوحي إلهى وإنما نسبت إليه لتصديه لحفظ قواعد وأصولها، ودعائه للعمل بذلك عندما ظهر التأخر. ولهذا السبب نسبت العقائد للأشعرى، والفقهاء للأئمة الأربعة، مع أن الجميع بوحي من الله تعالى. وهذا تحقيق نفيس بالغ النهاية فى الحسن والإيجاز، ما ترك لمنصف قولاً. وهذه 'حاديث فى تأييد مذهب الصوفية، مشفوعة بما يوضح معناها، ويبين وجه الدلالة منها على ما تقتضيه القواعد الحديثية والأصولية.

المؤلف

الشيخ عبدالله الصديق الغمارى

## الحديث الأول

### «الإحسان . المراقبة . المشاهدة»

عن عمر رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه (١) -تأديبا كهيفة المتعلم- وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ قال «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، قال صدقت قال : فمعجنا له يسأله ويصدقهُ!! قال فأخبرني عن الإيمان؟ قال «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال : صدقت قال فأخبرني عن الإحسان؟ قال «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال : فأخبرني عن الساعة؟ قال «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال فأخبرني عن أماراتها قال «أن تلد الأمة ربتها» (٢) وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» فانطلق الرجل فلبثت ملياً ثم قال «يا عمر أتدرى من السائل؟» قلت الله ورسوله أعلم، قال «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» رواه مسلم في صحيحه، ورواه الشيخان من حديث أبي هريرة، وله الفاظ وطرق، وهو حديث مستفيض.

قال الهروي في «منازل السائرین»: هذا الحديث إشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة.

(١) قول عمر -رضي الله عنه- «وضع كفيه على فخذيه» محتمل لأن يكون الرجل وضع كفيه على فخذى نفسه، أو أن يكون وضعها على فخذى سيدنا رسول الله ﷺ - فرجع الأول غير واحد من العلماء ظناً منهم أنه الأدب، ولكن جاء في رواية النسائي: «فوضع يديه على ركبتى النبي ﷺ» - فارتفع الاحتمال. أفاده الإمام ابن دقيق العيد -رحمه الله تعالى-.

(٢) قوله -ﷺ- «أن تلد الأمة ربتها» أى سيدتها، وقد اختلف العلماء في تفسيره، والأكثر على أن المراد به: أن يستولى المسلمون على المشركين، ويكثر التسرى بالإماء، فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها، لشرفه بأبيه، وعلى هذا فالذى يكون من أشراف الساعة: استيلاء المسلمين على المشركين، وكثرة الفتوح والتسرى.

قال شارحه (١): لأن أصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ودوام المراقبة للحق سبحانه في الحركات والسكنات، بل في الانفاس واللدخات، حتى يستولى سلطان الحق على القلوب، فيضمحل ما تعلقت به أو سكنت إليه من الأحوال والخطوب. فالإحسان يشتمل على مقامين (المراقبة ثم المشاهدة)، والحديث بدأ بالمشاهدة إشارة إلى علوها وسموها، وأنها المقصد الأهم، أما في السلوك والترقى فيكون البدء بالمراقبة، لأن دوامها يورث المشاهدة، ولهذا لما أراد الجنيد الدخول في الطريق وذهب إلى خاله وأستاذه السري السقطي يفضي إليه برغبته، قال له: يا بني إني ألقنك ثلاث كلمات، إذا أردت أن تنام من الليل فقل عند نومك: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهد علي، قال الجنيد: فواظبت عليها نحو شهر، ثم قال لي أستاذي: يا بني إذا كان الله معك وناظر إليك وشاهد عليك، فهل يصح أن تعصيه؟ قال الجنيد فنفعني الله بهذه الكلمات طوال حياتي، كلما هممت بمعصية تذكرتها فما عصيت الله قط. فانظر كيف لقن السري تلميذه الجنيد مقام المراقبة لأنه يوصل إلى المشاهدة القلبية، أما المشاهدة البصرية فهي في الدنيا خاصة بنبيينا ﷺ، لم تعط لغيره؛ قال ابن عباس: إن الله أعطى الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ. وفي صحيح مسلم في حديث الدجال وأنه يقول للناس أنا ربكم قال النبي ﷺ «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت» وسئل الإمام مالك لم لم ير المؤمنين ربهم في الدنيا وإنما يرونه في الآخرة؟ فأجاب بأنهم في الدنيا فانون، والفاني لا يرى الباقي، وفي الآخرة أعطوا أبصاراً باقية، فرأوا الباقي بالباقي، ولهذه المناسبة أذكر حادثة وقعت في بغداد، فقد رفع إلى الخليفة أن أحد مشايخ الطريق ادعى أنه رأى الله ببصره وقامت عليه البينة، فأمر بقتله.

فعلم القطب الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه -وهو حنبلي المذهب صوفي المشرب- فذهب إلى الخليفة، وقال له: إن هذا الشيخ ضاقت عنه العبارة فصدر عنه مالا يقصد، فقال الخليفة: وماذا يقصد؟ فقال الشيخ عبد القادر: إنه شاهد الله ببصيرته، فانعكس نور بصيرته على بصره فشاهد ذلك النور، فصدر عنه ما سمعتموه فقال ذلك الشيخ: والله ما أردت إلا هذا، وصدر الحكم ببراءته، وسلامة عقيدته. وهكذا أغلب الألفاظ المشككة المنقولة عن بعض الصوفية، لها محامل صحيحة، ووجوه من التأويل حسنة ولكن المعارضين عليهم مغرضون.

(١) وهو: الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- واسم كتابه: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» له فيه روح عالية وتحقيقات بالغة، وكان مقتضى منهج مؤلفنا الغماري ذكر اسم الشيخ صراحة، أعلى الله مقامنا في عليين.

## الحديث الثاني

«محاربة الله لمن عادى أوليائه. المجاهدة. الفناء في الله»

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وآله وسلم قال «إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً (١) فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلي مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» رواه البخاري في صحيحه، وله طرق عن عائشة وأبي أمامة وعلي وأنس ومعاذ وحذيفة.

في هذا الحديث بيان مبدأ طريق الصوفية ونهايته، ذلك أنهم يبدأون بالمجاهدة، ولا يزالون يجاهدون أنفسهم، ويجتهدون في تطهير قلوبهم من كل ما يباعد عن الله، وتزيينها بكل ما يقرب إليه من الأقوال والأعمال والأحوال، ولزوم الإقبال عليه، ودوام المشول بين يديه، في كل وقت وعلى كل حال بحسب الإمكان حتى يصلوا إلى مقام الفناء، ومن وصل منهم إلى هذا المقام كان محبوباً ملحوظاً، ومربوباً محفوظاً، فنى عن نفسه، وبقي بربه، فكان الله ولي أمره، وحافظ سره، فهو لذلك سمعه وبصره ويده ورجله، أي متولى شئونه كلها.

(١) في شرح العلامة: عبدالله النبراوي - رحمه الله تعالى - للأربعين النووية (ص ١٧٣) أن المراد بالمعاداة ما كانت من أجل الولاية، لا مطلقاً فلا تدخل منازعته في محاكمة لاستخراج حق، كما أن المراد بالولاية هنا: الإيمان ولو كان عاصياً، قال تعالى: «الله ولي الذين آمنوا» فمن آذى مؤمناً فقد دخل في وعيد الحديث المذكور، ثم قال في ختام شرحه للحديث: «وهو أصل في السلوك إلى الله - سبحانه وتعالى - والوصول إلى محبته ومعرفته».

## الحديث الثالث

### «علم الظاهر والباطن»

عن أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ وآله وسلم «أن موسى قال للخضر -عليهما السلام-: (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً، قال إنك لن تستطيع معي صبراً) يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا ينبغي لك أن تعلمه، وأنت على علم علمك الله لا ينبغي لى أن أعلمه، أى جميعه، وكذا قوله: لا ينبغي لك أن تعلمه، أى جميعه، قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى: وتقدير ذلك معتبر، لأن الخضر كان يعرف من الحكم الظاهر ما لا غنى للمكلف عنه، وموسى كان يعرف من الحكم الباطن ما يأتية بطريق الوحي. ١ وهذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة من طرق، وفيه إثبات علم الباطن الذى يقول به الصوفية، ولهذا قال الجمهور: إن الخضر نبي وكان علمه معرفة بواطن أو حيث إليه، وعلم موسى الحكم بالظاهر. نقله أبو حيان فى «البحر المحيط» فالجمهور -كما ترى- موافقون للصوفية على إثبات الباطن والظاهر، وأن لكل منهما أهلاً يختصون به، فماذا يقول المعارضون؟ إلا أن فى الحديث إشكالا أجاب عنه الحافظ ابن حجر بما سبق فى كلامه، وسلك فى الجواب عنه الشيخ سراج الدين البلقينى فى شرح البخارى مسلكاً آخر حيث قال: هذا الحديث قد يشكل، فإن العلم المذكور فى الجهتين كيف لا ينبغي علمه؟ وجواب هذا الإشكال أن علم الحقائق والكشوف يتنافى علم الظاهر، فلا ينبغي للعالم بالحكمة بالظاهر الذى هو مكلف به أن يعلم الحقائق للتنافى، ولا ينبغي للعالم بالحقيقة أن يعلم العلم الظاهر الذى ليس مكلفاً به الذى يتنافى ما عنده من الحقيقة ويمكن حمل العلم على تنفيذه، والمعنى: لا ينبغي لك أن تعلمه لتعمل به لأن العمل به مناف لمقتضى الشرع، ولا ينبغي لى أن أعلمه فأعمل بمقتضاه، لأنه مناف لمقتضى الحقيقة، فعلى هذا لا يجوز للولى التابع للنبي ﷺ إذا اطلع على حقيقة أن ينفذ ذلك بمقتضى الحقيقة، وإنما عليه أن ينفذ الحكم الظاهر (١). ١. أهـ ويؤيد حمل العلم على التنفيذ ما جاء فى رواية لمسلم: أن الخضر قال

(١) قلت: كيف يقال: إن علم الباطن يتنافى علم الظاهر، مع تصريحهم كثيراً بحصول العلمين فى أكثر =

لموسى عليه السلام (إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً) شئ أمرت به أن أفعله إذا رأيته لم تصبر، فهذا صريح فى حمل العلم على تنفيذه. وفى الحديث مسألة أخرى أشار إليها العلامة الألبى فى شرح مسلم حيث قال -فى شرح قول موسى (هل أتبعك) إلخ- : علم الخضر هو العلم بالمغيبات الموهوبة الدينية غير المكتسبة، فكيف يسأل تعليم مالا يكتسب؟ وكان الشيخ -يعنى شيخه الإمام ابن عرفة الذى قيل فيه إنه المجدد على رأس المائة الثامنة- يجيب بأن ذلك قد يكون باعتبار تعلم أسبابه فيمكن اكتسابها بالتزام نوع من طاعة الله تعالى وهو يشير إلى ما اتفق عليه الصوفية أن المجاهدة والتزام الذكر مع حضور القلب يورث علوماً وهبية، ويؤيده ما رواه الحسين المروزى فى زوائد الزهد لشيخه عبد الله بن المبارك فقال حدثنا أبو معاوية أنبأنا حجاج عن مكحول عن النبی ﷺ وآله وسلم قال « من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »<sup>(١)</sup> إسناده صحيح، ورواه ابن عدى فى الكامل من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف: ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى أيوب بإسناد ضعيف أيضاً.

= من واحد بخصوصه منهم الإمام الجنيد، وأبو الحسن الشاذلى، وابن عطاء الله، وزروق الفاسى، وغيرهم، ويرحم الله أبا الحسين النورى حين قال: « من رأيتموه يدعى مع الله -عز وجل- حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربوا منه » وقال أبو سعيد الخراز -رحمه الله تعالى-: « كل باطن يخالف الظاهر فهو باطل » وسيأتى للمؤلف أن الأفضل والأوفق الجمع بين الحقيقة والشرعية. والله أعلم.

(١) الحديث ذكره ابن عراق -رحمه الله تعالى- فى كتابه « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » (٢/ ٣٠٥) بتحقيق: الشيخ عبد الله الغمارى، والشيخ عبد الوهاب عبد العلي -رحمهما الله تعالى- فتنبه.

## الحديث الرابع

### «للقرآن ظاهر وباطن»

عن الحسن البصري قال قال رسول الله ﷺ وآله سلم «لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع» رواه الفريابي في تفسيره بإسناد صحيح<sup>(١)</sup>، ورواه أبو عبيد في فضائل القرآن عن الحسن أيضا بإسناد حسن، وروى أبو يعلى والبخاري والطبراني في الأوسط عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن» رجال الحديث ثقات كما قال الحافظ الهيثمي قال ابن النقيب في تفسيره: ظهر الآية ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق. وهذا الحد هو الغامض من المعاني، والمطلع ما يتوصل به إلى معرفته، ولا يتوصل إلى غامض المعاني إلا أرباب الحقائق بما أفاض الله عليهم من الأسرار والمعارف.

على عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن:

روى أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن وإن على بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن)، وروى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (كنا نتحدث أن النبي ﷺ وآله وسلم عهد إلى على سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره). فهذا تصريح بأن الصحابة كانوا يعترفون لعلى بتفوقه في علوم الحقائق والأسرار، وهذا مما لا نزاع فيه، وقد قال فيه النبي ﷺ وآله وسلم «أنا مدينة العلم وعلى بابها» وهو حديث صحيح<sup>(٢)</sup> كما بينه

(١) أعلم أن قول المحدثين في الحكم على الحديث بصحة إسناده، أو ثقة رجاله، لا يعنى أن الحديث صحيح، إذ قد يكون الإسناد منقطعاً أو مرسلًا، مع ثقة رجاله. كما هي الحال في هذا الحديث حيث إنه مرسل من مراسيل الحسن البصري، ولكنه يعتضد بما سيذكره المؤلف عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - مرفوعاً.

(٢) وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣٤٩/١ - ٣٥٠) فابعد، وفي تاريخ بغداد (٤٩/١١ - ٥٠) أن يحيى بن معين سئل عن هذا الحديث فقال: «هو صحيح»، وكذا صححه السيوطي كما في فتح الملك للعلی (ص ١١٦) وحسنه ابن حجر، كما في اللآلئ (٣٣٤/١) والسخاوي في المقاصد الحسنة =

شقيقى الخافض أبو الفيز فى كتاب «فتح الملك العلى، بصحة حذيث باب مدينه العلم على» وقال ابن عباس: (سلم الصحابه لعلى تسعه أعمار العلم، وشاركهم فى العشر العاشر)، وكان عمر رضى الله عنه يقول: (أعوذ بالله من قضيه ليس لها أبو حسن) يعنى عليا عليه السلام، وقال أيضا: (لولا على لهلك عمر)، ونص المناوى على أن عمر لم يكن يبعث عليا فى الفتوحات مع شجاعته الفائقه لاحتياجه الى علمه، وحصلت حادثه فى عهد أبى بكر رضى الله عنه أشكلت عليه وعلى الصحابه، فأرشدهم ابن عباس إلى إحالتها على على عليه السلام فلما أجاب عنها وحل مغلقها، قال له أبو بكر والصحابه: يا مفرج الكروب، وهذه الحادثه مرويه بإسنادها فى كتاب المجتنى لابن دريد. ولهذا كان على عليه السلام أستاذ الصوفيه ورئيسهم، كما قال الجنيد وابن العربى الحافى وغيرهما، وسلسله الطريق لا تتصل إلا به، ولا تنتهى إلا إليه بالتلقين والافتداء والصحة كما فصله أخى فى البرهان الجلى.

= (ص ٩٨) قال العلائى: «والحاصل أن الحديث ينتهى بمجموع طريقى أبى معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتج به ولا يكون ضعيفا فضلا عن أن يكون موضوعا، ولم أجد لمن ذكره فى الموضوعات طعنًا مؤثرا فى هذين السندين، وبالله التوفيق» راجع ما تقدم فى تحقيق الشيخ الفاضل: محمود سعيد مدوح، لكتاب «التقد الصحيح» للعلائى (ص ٧٩).



## الحديث الخامس

### «علوم الحقائق لا ينكرها إلا المغرورون»

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم «إن من العلم كهيفة المكنون لا يعلمه إلا أهل العلم بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله» رواه الطبرسي في الترغيب، والله والديلمي مسند الفردوس وهو حديث ضعيف، لكنه يتأيد بشيئين «أحدهما» ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أيضا قال : حفظت من رسول الله ﷺ وآله وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثته ، وأما الآخر فلو بثته لقطع هذا البلعوم، قال البخاري البلعوم : مجرى الطعام وهو بضم الباء، وفي رواية لقطع هذا يعنى رأسه، فذلك الوعاء الذى لم يبثه محمول على الأحاديث التى فيها بيان أمراء السوء من بنى أمية وعلى الأحاديث التى تتعلق بأشراط الساعة والملاحم فى آخر الزمان فينكر ذلك من لم يألف طبعه كما حصل من مبتدعة العصر إنكار المهدي ونزول عيسى وخروج الدجال والميزان، وغير ذلك . وعلى ما تلقاه من الأسرار والحقائق التى يضيق نطاق كثير من الناس عن فهمها فيبادرون إلى إنكارها : «ثانيهما» ما هو واقع مشاهد، فلا ينكر علوم الصوفية وما وهبهم الله من الحقائق إلا الأغرار المفتونون أصحاب مطامع وأغراض . ومما يصحح به الحديث الضعيف عند أهل الحديث أن يكون الواقع على وفقه لأنه ليس بعد الواقع المشاهد دليل .

## الحديث السادس

### «علم الباطن هو العلم النافع»

عن الحسن عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال «العلم علمان فعلم ثابت بالقلب فذاك العلم النافع وعلم فى اللسان فذاك حجة الله على عباده» رواه الخطيب فى التاريخ، وحسنه الحافظان زكى الدين المنذرى وزين الدين العراقي، وأعله ابن الجوزى فلم يصب، ورواه أبو نعيم والديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بإسناد ضعيف<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث أورده قطب الدين القسطلانى<sup>(٢)</sup> -وهو قبل القسطلانى صاحب المواهب اللدنية - فى كتابه فى التصوف شاهداً للحديث السابق، يشير بذلك إلى أن العلم الثابت بالقلب هو علم الباطن، بدليل حديث «من أخلص الله أربعين يوماً ظهرت ينباع الحكمة من قلبه على لسانه» وقد تقدم تخريجه، وأن علم اللسان هو علم الظاهر وهو حجة الله على عبده إذا لم يعمل به. وإنما كان علم الباطن الذى هو علم القلب نافعا لأنه لا يحصل للشخص إلا بعد المجاهدة والعمل بالعلم الظاهر إذ هو نتيجته وثمرته، بخلاف علم الظاهر فلا ينتفع به إلا من يعمل به، وليس كل عالم عاملاً.

وقد روى ابن أبى حاتم فى تفسيره من طريق سفيان الثورى عن أبى حيان التميمي عن رجل قال كان يقال: العلماء ثلاثة عالم بالله يخشى الله، ليس بعالم بأمر الله. وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله فذلك العالم الكامل - لجمعه بين علمى الظاهر والباطن - وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا يخشى الله، فذلك العالم الفاجر. وإنما كان هذا فاجراً لأنه لم يعمل بعلم الظاهر، والأول من علماء الباطن وهو من الأبرار لأنه خشى الله واتقاه، (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم).

(١) ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن عبد البر فى العلم من طريق هشام عن الحسن مرسلًا بإسناد صحيح. (ف).

(٢) جاء فى «رفع الاستار» للعلامة: حسن محمد المشاط -رحمة الله تعالى- (ص ٦): «القسطلانى: هو بضم القاف وسكون السين وضم الطاء وتشديد اللام... كذا أخذناه عن المشايخ شرقاً وغرباً، ووجدناه بخط من يقتدى به أهدى من الهدى والمشهور: فتح القاف والطاء بينهما سين ساكنة مع تشديد اللام.

## الحديث السابع

### «الإلهام - التحديث»

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر»، وفى رواية «قد كان فىمن قبلكم من بنى إسرائيل يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن فى أمتى أحد فعمر» رواه البخارى، ورواه مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها، ولفظه «قد كان يكون فى الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن فى أمتى منهم أحد، فعمر منهم» قال ابن وهب : تفسير محدثون - بفتح الدال المشددة - ملهمون . قال أكثر العلماء : الملهم هو الرجل الصادق الظن، يلقي فى روعه شئ من قبل الملائكة الأعلى فيكون كالذى حدثه غيره به . وقيل مكلم تكلمه الملائكة من غير نبوة كما تقدم فى إحدى روايتى أبو هريرة، وجاء فى حديث أبى سعيد الخدرى قيل : يا رسول الله : وكيف يحدث ؟ قال «تتكلم الملائكة على لسانه» رواه الجوهري فى فوائده، قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل رده إلى المعنى الأول، أى تكلمه فى نفسه وإن لم ير مكلماً فى الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام . وقوله «فإن يكن فى أمتى أحد» إلخ قال الحافظ ابن حجر : قيل لم يورد هذا القول مورد التردد، فإن أمته أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وجد فى غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل : إن يكن لى صديق فإنه فلان، يريد اختصاصه بكمال الصداقة، لا نفى الأصدقاء . وقيل : الحكمة فيه أن وجودهم فى بنى إسرائيل كان قد تحقق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذ فيهم نبي واحتمل عنده ﷺ ألا تحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستننائها بالقرآن عن حدوث نبي، وقد حصل ذلك - أى حصل الاستغناء بالقرآن - حتى إن المحدث منهم - بفتح الدال المشددة - إذا تحقق وجوده لا يحكم بما وقع له، بل لا بد من عرضه على القرآن فإن وافقه أو وافق السنة عمل به وإلا تركه، وهذا وإن جاز أن يقع - لكنه نادر ممن يكون أمره منهم مبنيًا على اتباع الكتاب والسنة، وتمحضت الحكمة فى وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول، فى زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيه، وقد تكون الحكمة فى تكثيرهم مضاهاة بنى إسرائيل فى كثرة

الأنبياء فيهم، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها لكون نبيها خاتم الأنبياء، عوضوا بكثرة الملهمين. اهـ كلام الحافظ.

هذا وقد اهتم علماء الأصول بالإلهام، وعقدوا له بحثاً خاصاً تكلموا فيه على معناه، والاحتجاج به. قال التاج السبكي في جمع الجوامع : (الإلهام إيقاع شئ في القلب يثلج له الصدر) أى ينشرح له: وقال الشوكاني في إرشاد الفحول : دلالة الإلهام ذكرها بعض الصوفية ، وحكى الماوردي والرويانى فى كتاب القضاء فى حجبة الإلهام خلافاً، قال الزركشى فى البحر المحيط: واختار جماعة من المتأخرين اعتماد الإلهام، منهم الإمام الرازى فى تفسيره فى أوله القبلة، وابن الصلاح فى فتاواه، فقال : إلهام خاطر الحق من الحق، قال : ومن علامته أن ينشرح له الصدر، ولا يعارضه معارض آخر. وقال أبو على التميمي فى كتاب التذكرة فى أصول الدين : ذهب بعض الصوفية إلى أن المعارف تقع اضطراباً للعباد على سبيل الإلهام، بحكم وعد الله سبحانه وتعالى بشرط التقوى، واحتج بقوله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) أى ما تفرقون به بين الحق والباطل، وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) <sup>(١)</sup> أى من كل ما يلتبس على غيره وجه الحكم فيه، وقوله تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) فهذه العلوم الدينية تحصل للعباد إذا زكت أنفسهم وسلمت قلوبهم لله تعالى بترك المنهيات، وامتنال المأمورات، وخيره صدق ووعد حق. واحتج شهاب الدين السهروردي على الإلهام بقوله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) ويقول (وأوحى ربك إلى النحل) فهذا الوحي هو مجرد الإلهام، ثم إن من الوحي علوماً تحدث فى النفوس الزكية المطمئنة، قال ﷺ « إن من أمتى المحدثين والمكلمين وإن عمر لمنهم » وقال تعالى (ونفس وما سوّأها فالهيمها فجورها وتقواها) فآخبر أن النفوس ملهمة، واختار السهروردي أن الإلهام حجة لمن وقع له دون غيره، ومال إليه سعد الدين التفتازانى فى بعض مصنفاته، والراجح عند الجمهور أنه ليس بحجة ، لا انتفاء العصمة، وهو قول جمهور الصوفية أيضاً.

(١) للشيخ العلامة: تاج الدين عمر بن على اللخمي الاسكندراني المالكي، المعروف بالفاكهاني - رحمه الله تعالى - رسالة مفيدة للغاية فى تفسير هذه الآية، سماها « الغاية القصوى فى الكلام على آية التقوى » طبعت محققة فى بيروت سنة ١٩٩٥م، ينصح كل طالب بقراءتها والعمل بها، والله الموفق ..

## الحديث الثامن

### (الحقيقة)

. عن أنس أن النبي ﷺ لقي رجلاً يقال له : حارثة، في بعض سكك المدينة، فقال « كيف أصبحت يا حارثة؟ » قال : أصبحت مؤمناً حقاً، فقال « إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ »، فقال : عرفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظلمات نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاوون فيها، وكأني أسمع عواء أهل النار، فقال « مؤمن نور الله قلبه » وفي رواية « عرفت فالزم، مؤمن نور الله قلبه » رواه البزار في مسنده والبيهقي في الشعب، وله طرق عند ابن المبارك في الزهد، وعبد الرزاق في التفسير، والطبراني في المعجم، وابن منده . في هذا الحديث إثبات المجاهدة، والزهد، وجولان الروح في العرش والجنة والنار بطريق التفكير والمشاهدة القلبية، وفيه أيضاً إثبات الحقيقة، وهو المقصود هنا، قال شارح منازل السائرين : حقيقة الشيء عند أهل هذا الشأن علاماته الدالة عليه، واستدل بهذا الحديث . قال الحافظ السيوطي : ويظهر لي أن أهل هذا الشأن إنما سموا علمهم علم الحقيقة أخذاً من لفظ الحقيقة في هذا الحديث، وقد ظهر لي أن نسبة علم الحقيقة إلى علم الشريعة كنسبة علم المعاني والبيان إلى علم النحو ، فهو سره ومبنى عليه، فمن أراد الخوض في علم الحقيقة من غير أن يعلم الشريعة فهو من الجاهلين ولا يحصل على شيء، كما أن من أراد الخوض في أسرار علم المعاني والبيان من غير أن يحكم النحو فهو يخطئ خبط عشواء ، وكيف يدرك أحوال الإنسان والمسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل من لم يعرف المبتدأ من الخبر والفاعل من المفعول؟ هذا بين لكل أحد، والحقيقة سر الشريعة ولها الخالص، كما أن المعاني والبيان سر النحو ولطائفه، والتصوف فقه بلا شك ، فإن أكثره تكاليف واجبة ومندوبة، ومنها محرمة ومكروهة، وقد نص على أن أبواب التصوف من الفقه جماعة من أهل الأصول، ووافقهم ابن السبكي في جمع الجوامع وأعلم أن دقائق علم التصوف لو عرضت معانيها على الفقهاء بالعبرة التي ألفوها في علومهم لاستحسنوها كل الاستحسان، وكانوا أول قائل بها، وإنما ينفرهم منها لإيرادها بعبارة مستغربة لم يالفوها . ولهذا قال بعضهم : الحقيقة أحسن

ما يعلم، وأقبح ما يقال، وأنا أورد لك مثالا تعرف به صحة ذلك. قال في منازل السائرين : حقيقة التوبة ثلاثة أشياء تميز الثقة من لغرة ونسيان الجناية، والتوبة عن التوبة أبداً، فإن سمع الفقيه هذا اللفظ استغربه جداً، وقال : كيف يتاب من التوبة؟ وإنما يتاب من المعاصي، وتقرير معناه : أن العبد إذا كمل في رجوعه إلى الله لم يلتفت إلى أعماله ولم يسكن إليها توبة كانت أو غيرها، فيتوب من سكونه إلى توبته. لأن التوبة - وإن كانت من كسب العبد - فهي من خلق الله وتوفيقه، ولو لم يتب عليه لما تاب، قال تعالى (ثم تاب عليهم ليتوبوا) فرؤية العبد التوبة من نفسه ذنب يستغفر منه، بل عليه أن يشهد محض منة الله عليه بها وتوفيقه لها، ويلغى نفسه أصلاً عن درجة الاعتبار، وهذا مقام الفناء في التوبة، وهي أول منازل السائرين، ويقاس به مقام الفناء في التوحيد فلا يشهد في توحيد صنعا، بل محض منة الله عليه به، وتوفيقه له، وهذا المعنى إذا عرض على الفقيه بهذه العبارة المألوفة كان أول قائل به، وناصر له، اهـ.

وقال سلطان العلماء الإمام عز الدين بن عبد السلام في قواعد الأحكام : الطريق في إصلاح القلوب التي تصلح الأجساد بصلاحها وتفسد بفسادها : تطهيرها من كل ما يباعد عن الله، وتزيينها بكل ما يقرب إليه، ويؤلف لديه، من الأحوال والأقوال والأعمال، وحسن الآمال، ولزوم الإقبال عليه، والإصغاء إليه، والمثول بين يديه، في كل وقت من الأوقات وحال من الأحوال، على حسب الإمكان، من غير أداء إلى السأمة والملل، ومعرفة ذلك هي الملقبة بعلم الحقيقة، وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة، بل الشريعة طافحة بإصلاح القلوب بالمعارف والأحوال والعزوم والنيات، وغير ذلك مما ذكرناه من أعمال القلوب، فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع، ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشريعة، ولا ينكر شيئا منهما إلا كافر أو فاجر، وقد يتشبه بالقوم من ليس منهم ولا يقاربهم في شيء من الصفات، وهم شر من قطاع الطريق لأنهم يقطعون طريق الزاهبين إلى الله تعالى. اهـ.

فتلخص من جميع ما تقدم : أن الحقيقة صنو الشريعة، بل هلى لبها وسرها الخالص<sup>(١)</sup>، وأن ما يثار حولها من اعتراضات قد تصل إلى الكفر أحياناً، مرجعه إلى أمرين «أحدهما» صوغ معانيها في عبارات غامضة غير مألوفة كما أشار إليها الحافظ

(١) قال أبو بكر الدقاق - وهو من كبار الصوفية - كنت ماراً في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مبين للشريعة، فهتف بي هاتف من تحت شجرة : كل حقيقة لاتبعها شريعة فهي كفر (ف).

السيوطي « ثانيهما » تشبه الدخلاء بأهل الحقائق كما أشار إليه عز الدين بن عبد السلام، وجعل هؤلاء الدخلاء شراً من قطاع الطريق، وهذا ما حمل رجال العشيرة المحمدية وفقهم الله على القيام بحملة واسعة لتطهير التصوف مما ألصق به من بدع وخرافات ، وإرجاعه إلى ما كان عليه أيام السلف الصالح من السمو الروحي، والتهذيب الخلقي ، وفق الله الخصى، وحقق الآمال .

## الحديث التاسع

### «المكاشفة»

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» رواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم، ورواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الطب النبوى والترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من حديث أبى أمامة رضى الله عنه، ورواه ابن جرير وأبو نعيم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما، ورواه ابن جرير من حديث ثوبان رضى الله عنه ولفظه «احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وينطق بتوفيق الله» وهو حديث حسن كما قال الحافظان نور الدين الهيثمى، وجلال الدين السيوطى، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات فلم يصب، وروى ابن جرير والبزار عن أنس قال قال رسول الله ﷺ «إن لله عبداً يعرفون الناس بالتوسم» إسناده على شرط الحسن، هذا الحديث أصل فى الكشف الذى يقع لكثير من الأولياء، تجدد الواحد منهم يكشف الشخص بما حصل منه فى غيبته كأنه كان حاضراً معه، ونص الحافظ ابن حجر فى فتح البارى - فى شرح حديث قتل خبيب - رضى الله عنه - على أن إجابة الدعوة فى الحال وتكثير الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والإخبار بما سيأتى ونحو ذلك قد كثر جداً حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة. اهـ وقال أيضاً - فى شرح حديث «فى خمس لا يعلمهن إلا الله» : وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى عليه السلام قال : إنه يخبرهم بما ياكلون وما يدخرون، وأن يوسف قال : إنه ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتى إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات، فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء فى قوله تعالى (إلا من ارتضى من رسول) فإنه يقتضى اطلاع الرسول على بعض الغيب، والولى التابع للرسول عن الرسول يأخذ، وبه يكرم: والفرق بينهما أن الرسول يطلع على ذلك بأنواع الوحي كلها، والولى لا يطلع على ذلك إلا بمنام أو إلهام والله أعلم. اهـ.



## الحديث العاشر

### «الخلوة والانقطاع إلى الله»

عن عائشة رضى الله عنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، رواه البخارى. فى هذا الحديث دليل للصوفية فى الخلوة والانقطاع عن الخلق فى الزوايا والمساجد، قال العارف أبو محمد بن أبى جمرة فى بهجة النفوس : ( فى الحديث دليل على أن الخلوة عون للإنسان على تعبدته وصلاح دينه، لأن النبى ﷺ لما اعتزل عن الناس وخلا بنفسه أتاه هذا الخير العظيم، وكل أحد امثل ذلك أتاه الخير بحسب ما قسم الله له من مقامات الولاية ). اهـ ولأن الخلوة تعين على التفكير فى عظمة الله، وسعة قدرته، وعموم نعمته، وباهر حكيمته، وقد كان تعبد النبى ﷺ فى خلوته بغار حراء تفكراً واعتباراً، وحض القرآن الكريم على التفكير فى غير آية، منها قوله تعالى (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض) الآية .

وأيضاً فإن الخلوة أجمع لقلب المريد وأعون له على التفرغ لذكر الله وأبعد عن الرياء، وأيضا فإن الخلوة تبعد المريد عن مواطن اللغو واللغط، وتهيشه لقبول الواردات الإلهية والتجليات الربانية: ولهذا رغب الشارع فيها، وجعلها من العادات المطلوبة، وأفردا فقهاء المذاهب بباب خاص لها هو باب الاعتكاف ذكروا فيه أحكامه وشروطه وآدابه، وثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ كان يعتكف فى العشر الاواخر من رمضان، فيلزم المسجد النبوى، ويعتزل نساءه، ويقبل على العبادة والذكر وتلاوة القرآن، ولا يخرج إلا لقضاء حاجة الإنسان، وفى سنن أبى داود بإسناد لا بأس به عن عائشة رضى الله عنها قالت : السنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً ولا يشهد جنازة ولا يمس امرأة ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بدله منه، فهذه هى الخلوة التى اتخذها الصوفية، وسموها تجريداً ، لأن المريد يتجرد من العلائق والعوائق وينقطع إلى الذكر والعبادة مدة

قد تطول وقد تقصر بحسب استعداده وما قسم له : لكنهم صرحوا مع ذلك بأن المرید إذا كان له عمل يتكسب به كالتجارة أو صناعة مثلاً، فلا ينبغي له تركه إلى الخلوة والتجريد، بل يبقى في عمله الذي أقامه الله فيه، ويتسطيع أن يذكر الله في حالته تلك وفي أوقات فراغه، ولهذا قال ابن عطاء الله في الحكيم : إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية : ودليلهم على ذلك حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا يا رسول الله ! لو كان هذا في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : « إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » رواه الطبراني بإسناد صحيح : وقد كان في الصحابة أهل التجريد، وأصحاب الأسباب، أما أهل التجريد فهم أهل الصفة كانوا نحو سبعين صحابياً مقيمين بالمسجد النبوي لا أهل لهم ولا مال، وكان النبي ﷺ ينفق عليهم، واسمع إلى أبي هريرة يتحدث عن نفسه وعنهم - وهو أحدهم - فيقول : والذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه فمر بي أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني فلم يفعل، ثم مر عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، ثم مر أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رأيته وعرف ما في وجهي وما في نفسي، فقال « يا أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسول الله قال « الحق » ومضى، فاتبعته فدخل فاستأذن، فأذن له فدخل فوجد لبنا في قدح، فقال « من أين هذا اللبن » قالوا : أهده لك فلان أو فلانة، قال « يا أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسول الله، قال : « الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي »، قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يلوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فاتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال : « يا أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسول الله، قال : « خذ فاعطهم » فأخذت القدح فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه

على يده، فتبسم فقال «يا أبا هريرة» قلت : لبيك يا رسول الله، قال «وبقيت أنا وأنت» قلت : صدقت يا رسول الله، قال «أقعد فاشرب» فشربت، فقال «اشرب» فشربت، فما زال يقول «اشرب» حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكا، قال «فأرني» فأعطيته القدح، فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة رواه البخاري وغيره. وجاء في حديث لأبي هريرة أن أهل الصفة كانوا سبعين صحابيا، قال الحافظ ابن حجر: وليس المراد حصرهم في هذا العدد، بل المراد عدتهم في أول الأمر، وإلا فمجموعهم أضعاف ذلك، وقد سرد أبو نعيم أسماءهم في أول الحلية فزادوا على المائة، وأما أصحاب الأسباب فمعظم الصحابة، فالأنصار كانوا أهل نخل وزرع، والمهاجرون أهل تجارة وفيهم الخلفاء الأربعة إلا عليا عليه السلام فإنه كان على حال النبي ﷺ من الزهد وترك الأسباب إلا في القليل النادر، ولذا كان من أوصافه اللازمة له لزوم الشجاعة والعلم، زهده.

### الفتوة

قال الاستاذ أبو القاسم الجنيد: الفتوة كف الأذى، وبذل الندي «وقال أبو القاسم القشيري: أصل الفتوة أن يكون العبد أبداً في أمر غيره، ونقل عن شيخه الاستاذ أبي بكر الدقاق أنه قال: هذا الخلق لا يكون كماله إلا لرسول الله ﷺ، فإن كل أحد في القيامة يقول: نفسى نفسى: وهو ﷺ يقول «أمتى أمتى»: ثم استدل القشيري لهذا الخلق بما رواه بإسناده عن أبي هريرة عن زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ قال «لا يزال الله في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه المسلم».

وهذا الحديث رواه الطبراني أيضاً بإسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ المنذرى، وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد (١) في عون أخيه» وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم

(١) رواه عبد الغافر الفارسي في الأربعين بلفظ «مادام». (ف).

القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة: وهذا الخلق - أعنى الفتوة - مرجعه إلى سخاوة النفس، وهو شرط في المريد كما قال جلدنا العارف الكبير أبو العباس أحمد بن عَجَبِيَّة الحسنى في شرح المباحث الأصلية، فقد قالوا: من أقبح القبيح صوفى شحيح، ثم هو يشتمل على عدة معان «الاول»: الإيثار. وقد مدحه الله تعالى في كتابه الكريم بقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وسبب نزول هذه الآية ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد: فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ «من يضم أو يضيف هذا؟» فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال هيئ طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبياني إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فاطفأته، فجعل يريانه كأنهما ياكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال «ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما» فانزل الله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الرجل الذي اشتكى الجهد هو أبو هريرة والأنصاري الذي ضيفه هو أبو طلحة، وروى ابن مردويه في تفسيره عن ابن عمر: (أهدى لرجل رأس شاة، فقال إن أخى وعياله أخرج منا إلى هذا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر، حتى رجعت إلى الأول بعد سبعة فنزلت الآية، قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن تكون نزلت بسبب ذلك كله)، وهـ ومن أروع مواقف الإيثار عند الصوفية ما حكاه الجلال المحلى في شرح جمع الجوامع فقال: (ولا التفات لمن رماهم في جملة الصوفية بالزندقة عند خليفة السلطان حتى أمر بضرب أعناقهم، فأمسكوا إلا الجنيد فإنه تستر بالفقه وكان يفتى على مذهب أبي ثور شيخه، ويسط لهم النطع فتقدم من آخرهم أبو الحسن النورى للسياف فقال له: لم تقدمت؟ فقال: أوتر أصحابي بحياة ساعة، فبهت، وأنهى الخبر للخليفة، فردهم إلى القاضى فسأل النورى عن مسائل فقهية فاجابه عنها، ثم قال - أى النورى - : وبعد فإن الله عبادة إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله، الخ كلامه فبكى القاضى وأرسل للخليفة يقول: إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم، فخلى سبيلهم رحمهم الله ونفعنا بهم). ا- هـ والخليفة هو أبو الفضل جعفر المقتدر، والقاضى هو الإمام إسماعيل بن إسحق

أحد أئمة المالكية .

« الثاني » هدية المريد إلى شيخه، ودليلها من القرآن والسنة، أما القرآن فقوله تعالى ( يا أيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ) الآية . قال على عليه السلام : لما نزلت هذه الآية قال لى النبي ﷺ « ماترى ؟ أديناراً » قلت لا يطيقونه ، قال « فنصف دينار » قلت : لا يطيقونه قال « فكم ؟ » قلت شعيرة ، قال « إنك لرهيد » قال فنزلت ( أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ) الآية ، قال : فبى خفف الله عن هذه الأمة ، : رواه ابن جرير والترمذى وحسنه، وقوله : شعيرة، يعنى وزنها من ذهب، وقال على أيضا: إن فى كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدى آية النجوى ( يا أيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول ) الآية، قال : كان عندى دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبي ﷺ ، فكنت كلما ناجيته قدمت بين يدي نجواى درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت ( أأشفقتم أن تقدموا ) الآية، رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وسلمه الذهبى، وروى الطبرانى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال نزلت فى ( يا أيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول ) الآية، فقدمت شعيرة، فقال رسول الله ﷺ « إنك لرهيد » فنزلت ( أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ) وفى سنده راو مختلف فيه، ويمكن الجمع بينه وبين الأول بأن كلا من على وسعد لم يطلع على قصة الآخر، فتكلم بحسب ما فى علمه وعن ابن عباس فى قوله تعالى ( فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فاراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام، فلما قال ذلك، جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسألة فانزل الله بعد هذا ( أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ) الآية، فوسع الله عليهم ولم يضيق .

يؤخذ من هذا أن تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول كانت واجبة ثم نسخت، وإذا نسخ وجوب شئ بقى استحبابه بل سنيته، كما فى صوم عاشوراء كان واجبا ثم نسخ بربضان فىبقى سنة، وأما السنة فما ثبت بالتواتر فى قضايا متعددة أن الصحابة كانوا يهدون للنبي ﷺ ثيابا وطعاما وغيرهما، وكان يقبل هديتهم وتقدم قريبا حديث أبى هريرة فى أهل الصفة، وفيه : إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها ، وفى مسند أحمد بإسناد صحيح

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، وفي المسند أيضاً بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه ، فإن قيل : هدية أكل ، وإن قيل صدقة قال « كلوا » ولم يأكل ، بل أمر عليه الصلاة والسلام بقبول الهدية ونهى عن ردها، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت عمر يقول كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول : أعطه من هو إليه أفقر مني ، فقال « خذه ، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل ، فخذ فتموله فإن شئت كله وإن شئت فتصدق به ، ومالا فلا تتبعه نفسك » قال سالم بن عبد الله : فلأجل ذلك كان عبد الله لا يسأل أحداً شيئاً ولا يرد شيئاً أعطيه ، وفي المسند بإسناد رجال ثقات عن المطلب بن عبد الله بن جندب قال : أهدى عبد الله بن عامر إلى عائشة رضي الله عنها نفقة وكسوة ، فقالت للرسول : أي بني لا أقبل من أحد شيئاً ، فلما خرج الرسول قالت ردوه علي ، فردوه فقالت : إني ذكرت شيئاً ، قال لي رسول الله ﷺ : « يا عائشة من أعطاك عطاء بغير مسألة فأقبله ، فانما هو رزق عرضه الله عليك » وفي المسند أيضاً بإسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها أن امرأة أهدت إليها رجل شاه تصدق بها عليها - أي على المرأة - فأمرها النبي ﷺ أن تقبلها وفي المسند أيضاً بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « من آتاه الله من هذا المال شيئاً من غير أن يسأله فليقبله فانما هو رزق ساقه الله إليه » فهذه الأدلة المتعددة وغيرها مما لم نذكره اختصاراً مستند شيوخ الصوفية - على ممر الزمان - في قبول هدايا المريدين من نقود وثياب وطعام وغير ذلك ، ثم هم ينفقونها على الزوار في البيت أو الزاوية فتكون منفعتها عامة ، وبذلك يعظم ثواب المهدي ويكثر أجره ، أضف إلى ذلك أن الهدية - وإن قلت قيمتها - توجد محبة ومودة بين المهدي والمهدي إليه ، كما قال ﷺ « تنهاهوا تحابوا » رواه أبو يعلى عن أبي هريرة بإسناد جيد ، وله طرق ، ولا شك أن المريدين إنما ينتفع في السلوك على قدر حب شيخه له وعنايته به ، بل كل طالب علم من العلوم لا يدرك من العلم غايته ، إلا بقدر حب أستاذه له ، وعنايته بتعليمه ، ومن الحكم السائرة : « من عرف ما طلب ، هان عليه ما بذل » .

« الثالث » : الضيافة ، والأحاديث في الأمر بها والحض عليها كثيرة بالغة حد التواتر المعنوي ، ويكفي حديث الصحيحين « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقد جعلها الظاهرية فرضاً على الحضري والبدوي والفقير والجاهل ، والجمهور على أنها

سنة مرغّب فيها وهى من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم، والصوفية - خصوصاً الشاذلية - فى القيام بحققها القدح المعلق، فزوايا الشاذلية فى مدن المغرب وقراه معدة لاستقبال الضيوف، لا ينزل بها غريب إلا لقي أهلاً يكرمونه ويتحفونه، وإن كان فى حاجة إلى مساعدة مدوة بها وذلك بأن يجمع مقدم الزاوية من الفقراء - الدراويش - مبلغاً من المال يقدمه للضيف عند سفره، وإن كان من أهل الطريق، أو ذوى الفضل والعلم تسابقوا إلى إكرامه فى بيوتهم، ومهاداته بما يليق به، والمقصود أن الزوايا عندنا أشبه بالفنادق العامة المعدة لاستقبال النزلاء، إلا أنها لا تأخذ أجراً، بل تساعد من يرجو المعونة، وتهادى من يستحق التكريم، هذا إلى ما يقوم به أصحابها من عيادة المرضى وتشجيع الجنائز، وإقامة حفلات للمولود النبوى الشريف تكون خيراً وبراً للمساكين والضعفاء بما يتناولون من طعام وصدقات، هذا بعض فضل التصوف ومزاياه فى القطر المراكشى، قبل أن تكثُر فيه النزعة الوهابية، مع ابتلائه بالأحزاب السياسية التى فرقت بين أهله وجعلتهم شيعاً وفرقاً، وبثت فيه جرثومة التحلل من الأخلاق والدين، نسال الله اللطف والسلامة.

«الرابع»: صلة الإخوان والأقارب وغيرهم بمختلف أنواع الصلات المادية والأدبية، وفى ذلك أحاديث كثيرة تفوق الحصر، منها ما تقدم قريباً، ومنها ما فى أوسط معاجم الطبرانى عن عمر عن النبى ﷺ «أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن، كسوته عورته أو أشبعت جوعته، أو قضيت له حاجته» ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر ولفظه «أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعاً، أو تقضى عنه ديناً» وله طرق والفاظ متعددة، وأهل التصوف مضرب المثل فى التواصل والتعاون، ومساعدة أصحاب الحوائج فى قضائهم، وكان النبى ﷺ عناهم بقوله «إن الله خلق خلقاً خلقهم لحوائج الناس، يفرع الناس إليهم فى حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله» رواه الطبرانى من حديث ابن عمر، وله طرق، ومن أخذ من هذا الخلق بالحظ الأوفر مولانا الشيخ الإمام الوالد رضى الله عنه فقد كان لا يمر عليه يوم دون أن يقضى ديناً عن مدين، أو يدفع أجرة عن شخص تأخر فى دفع الإيجار، أو يكسو فقيراً ليس عنده ثياب، وإذا كان له أولاد كساهم معه، أو يصلح بين متخاصمين طالّت خصومتهم واشتد عداؤهما فبدعهما أخوين متحابين، أو يشفع عند الحاكم فى مظلوم، على أن يبعث رسولا من طرفه فما مشى إلى حاكم قط، ولقد أنقذ بشفاعته

شخصاً من الإعدام حكمت به عليه الحكومة الأسبانية الغاشمة لانتهامه بتدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم، ويتعاهد بيوتاً كثيرة في الأعياد والمناسبات كزكاة الفطر واللحم في عيد الأضحى وغير ذلك، أما تصدقه بالثياب التي عليه وقعوده في البيت حتى يتيسر له غيرها فقد حصل منه مرات عديدة حتى كان بعض الإخوان ممن له عليه دالة يعتب عليه في ذلك فيظهر له من الثقة بالله والتوكل عليه ما يحمله على تشجيع الشيخ في الاستزادة من التصدق والإعطاء.

هذه أخلاق الصوفية كما شاهدناها عياناً، وقرأنا عنها في كتب التراجم والطبقات، فإذا وجد في شيوخ الطريقة من هو على ضد هذه الخصال، فهو دعي دخيل، والتصوف برئ منه ومن أمثاله، ويجب هنا أن نعرض لرد مسألة طالما تشدق بها المنتقدون للتصوف، ذلك أنهم يزعمون أن الصوفية أصحاب كسل وخمول وتواكل، وأن الإسلام يدعو إلى العمل والكسب والسعى في طلب الرزق، وهذا كلام من قصر نظره على الجانب المادى الضيق المحدود، وانصرف عن الجانب الروحي الواسع الشامل، مع أن الإسلام راعى الجانبين، وأعطى لكل منهما حظه من العناية والاعتبار، بل غلب الجانب الروحي لأنه أعم وأبقى، وأسباب الرزق كما تكون مادية للعوام كالتجارة والصناعة مثلاً، تكون روحية للخواص كالصلاة والتقوى، قال تعالى ( وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك ) وقال ( ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ).

وقال ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝ ﴾ [نوح: ١٠-١٢] وتقدم أن أهل الصفة كانوا أكثر من مائة، لا أهل لهم ولا مال، وكان النبي ﷺ ينفق عليهم، ولم يقل لهم: تكسبوا واسعوا على رزقكم بالتجارة وغيرها، نعم لم يقل لهم هذا أصلاً، بل دافع الله تعالى عنهم، حين قال المنافقون في حقهم ( لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ) فرد الله عليهم بقوله ( ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ) وهذا شرف عظيم لأهل الصفة، ينطوى على التنويه بما كانوا عليه من الانقطاع للعبادة والتفرغ لها، أما مارواه أبو داود في مراسيله عن أبي قلابة أن ناساً من الصحابة قدمو يثنون على صاحب لهم خيراً، قالوا: مارأينا مثل فلان قط، ما كان في مسير إلا كان في



قراءة ولا نزلنا منزلاً إلا كان في صلاة. قال رسول الله ﷺ «فمن كان يكفيه ضيعته؟» حتى ذكروا من كان يعلف جملة أو دابته؟ قالوا: نحن، قال «فكلكم خير منه»، فهو حديث ضعيف؛ لأنه مرسل، وعلى فرض صحته فهو محمول على أن ذلك الشخص كان يستخدم غيره في شئونه الخاصة به كعلف دابته، وتهيئة مكان نومه، وإعداد طعامه، ونحو ذلك كما هو صريح الحديث، وليس من المروءة أن يستخدم الشخص غيره في مثل ذلك، بل يقوم هو بنفسه بإعداده لا سيما في السفر المبني على التعاون التام، ألا ترى إلى النبي ﷺ حين أراد الصحابة - وكانوا معه في سفر - أن يطبخوا طعاماً لغداهم، وتعهده بعضهم بذبح الشاة، وآخر يسقى الماء، فتعهده هو ﷺ بجمع الحطب، فقال الصحابة: نكفيك هذا يا رسول الله، قال «علمت أنكم تكفوني ذلك ولكن كرهت أن أتميز عنكم» أو كما قال، وهذا من كمال المروءة، وآداب الصحبة والمعاشرة، وهو بمعزل عما نحن فيه، فالذين يستدلون بذلك الحديث المرسل على الكسب والسعي مخطئون في فهمه، مع غفلتهم عن ضعفه، وما يؤيد ما نقول حديث أنس قال: كان أخوان على عهد النبي ﷺ، فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ، والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ، فقال «لعلك ترزق به» رواه الترمذي، صححه الحاكم وسلمه، فالنبي ﷺ أخبر الأخ المحترف بأن الله يرزقه ببركة إنفاقه على أخيه المتفرغ للعبادة وملازمة الرسول وليس بعد بيان الله ورسوله بيان<sup>(١)</sup>.

### الأولياء

قال الله تعالى ( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) [يونس: ٦٢-٦٤]. قال الزمخشري في الكشاف: الولي من تولى الله بالطاعة، فتولاه الله بالكرامة، وقال السعدفي شرح العقائد النسفية، والجلال المحلى في شرح جميع الجوامع: الولي العارف بالله حسبما (١) بل الحال المثلى في الإسلام: أن يجمع بين الكسب والعبادة، إذ هو مقام المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه، وكذلك هو حال رسل الله الكرام - عليهم الصلاة والسلام - وهم أفضل الخلق لا محالة، وما زال المحققون من العلماء يفتنون بذلك ترويحاً للنفس وتنشيطاً لها على العبادة، على أن الكسب في الحقيقة ما هو إلا عبادة لله تعالى، وإلا لما اعتبره النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - جهاداً، بنال به المسلم رضى الله وغفرانه، وللإمام السرخسى - رحمه الله تعالى - كتاب حسن في الكسب ضمنه تحقيق هذه المسألة، فليرجع إليه ولغيره من الكتب من أراد تحقيق المسألة. والله الموفق.

يمكن ، المواظب على الطاعات اجتناب للمعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات ، وقيل : الولي من يحب أخاه المؤمن لا يحبه إلا الله ، وقيل : غير ذلك ؟

وهذه الأقوال - وإن كانت في الظاهر مختلفة - فهي في الحقيقة متفقة ، إذ ما من ولي إلا وهو متصف بما ذكر فيها من الصفات ، ومتسم بغيرها من كريم الخلال والسمات ، وجاءت الأحاديث في هذا الباب مختلفة كاختلاف الأقوال وذلك محمول على اختلاف الأحوال ، مع قصد الشارع الحظ على أنواع من فضائل الأعمال ، ونحن نورد منها ما تيسر :

١ - عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم « إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب » الحديث ، وتقدم أول الكتاب .

٢ - عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى » قالوا : يا رسول الله ، فخيرنا من هم ؟ قال « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعل نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس » ثم قرأ ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) . رواه أبو داود في سننه ، وروى النسائي نحوه عن أبي هريرة ، وله طرق كثيرة .

٣ - عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه استحق ولاية الله : حلم أصيل يدفع به سفه السفه عن نفسه ، وورع صادق يحجزه عن معاصي الله ، وخلق حسن يدارى به الناس » رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء .

٤ - عن عمرو بن الجموح رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب الله تعالى ويبغض الله ، فاذا أحب الله تبارك وتعالى وأبغض الله فقد استحق الولاية لله » رواه أحمد في المسند .

٥ - عن ابن عباس قال : سئل رسول الله ﷺ من هم أولياء الله ؟ قال « هم الذين يذكر الله عند رؤيتهم » رواه النسائي والبخاري ، ورواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وغيرهما عن سعيد بن جبيرة مرسلا وله طرق ، منها عن أنس قال قالوا : أيما أفضل ؟ كي نتخذه جليسا معلما ، قال « الذي إذا رأى ذكر الله برؤيته » رواه الحكيم النيمذى .

- ٦ - عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ماجبل ولى الله عز وجل إلا على السخاء وحسن الخلق » رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب .
- ٧ - عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى : حقت محبتى للمتحابين فى ، وحقت محبتى للمتزاورين فى ، وحقت محبتى للمتجالسين فى ، الذين يعمرّون مساجدى بذكرى ، ويعلمون الناس الخير ، ويدعونهم إلى طاعتى ، أولئك أوليائى الذين أظلمهم فى ظل عرشى ، وأسكنهم فى جوارى ، وأؤمّنهم من عذابى وأدخلهم الجنة قبل الناس بخمسائة عام ، يتنعمون فيها وهم خالدون » ثم قرأ نبي الله ﷺ ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) رواه ابن مردويه فى تفسيره .

٨ - عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى إنما أتقبل الصلاة من تواضع لعظمتى ولم يتعاطم على خلقى ، وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتى ، فقطع نهاره فى ذكرى ، ولم يبت مصراً على خطيئته يطعم الجائع ، ويكسو العارى ، ويرحم الضعيف ، ويؤوى الغريب ، فذاك الذى يضى وجهه كما يضى نور الشمس . يدعونى فآلبى ، ويسألنى فأعطى ، ويقسم على فأبر قسمه ، أجعل له فى الجاهلة علماً ، وفى الظلمة نوراً ، أكلاه بقوتى ، وأستحفظه ملائكتى » رواه أبو نعيم فى الحلية والبرار بنحوه ، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، يستخلص الباحث من مجموعها أن الولى من تولى الله بأنواع القربات ، فتولاه الله بأنواع المواهب والمكرّمات ، ونلحق بالأحاديث السابقة أثراً جامعاً فى وصف الأولياء ، رواه أحمد فى الزهد ، وابن أبى حاتم فى التفسير ، وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال : قال الحواريون : يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال عيسى - عليه السلام - : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، والذين نظروا إلى أجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، وأماتوا منها ما يخشون أن يميتهم ، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وذكرهم إياهم فواتاً ، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً ، وما عارضهم من نائلها رفضه ، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه ، بليت الدنيا عندهم فليس يجددونها ، وحرب بينهم فليس يعمرّونها ، وماتت فى صدورهم فليس يحييونها ، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ، ويبعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، ويفرضونها فكانوا يرفضونها

هم الفرحين، وباعوها فكانوا ببيعها هم المربحين، ونظروا إلى أهلها صرعى، قد خلت فيهم المشلات، فأحبوا ذكر الموت وتركوا ذكر الحياة، يحبون الله تعالى ويستضيئون بنوره ويضيئون به، لهم خبر عجيب، وعندهم الخير العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه علموا، ليسوا يرون نائلا مع ما نالوا، ولا أمانى دون ما يرجون، ولا خوفا دون ما يحذرون.

### الأبدال

وهم طائفة من الأولياء يسمون بهذا الاسم، وقد وردت أحاديث وآثار في تسميتهم ووصفهم وعلاماتهم وأماكن وجودهم، أفردها الحافظ السيوطي برسالة خاصة سماها «الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال»<sup>(١)</sup>، قال في خطبتها: وبعد فقد بلغنى عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم أبدالاً ونقباء ونجباء وأوتادا وأقطابا، وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك، فجمعتها في هذا الجزء لتستفاد، ولا يعمل على إنكار أهل العناد، ولو فرض أنه لم يرد في ذلك حديث ولا أثر، وكان مجرد اصطلاح تواطأ عليه الصوفية لما صح إنكاره، لأن كل طائفة من طوائف العلماء كالفقهاء والأصوليين والنحاة والمناطقة وأهل المعاني اصطلاحوا على ألفاظ لها معانى خاصة يتفاهمون بها فيما بينهم ودونوها في كتبهم، وصارت جزءاً من علومهم، ولم يعترض عليهم أحد في ذلك. فما وجه تخصيص الصوفية بالاعتراض؟! على أن لفظ الأبدال اشتهر في عهد السلف، ووصف به جماعة من الأئمة، قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة - بعد أن تكلم على بعض طرق حديث الأبدال - : وما يتقوى به الحديث ويدل لانتشاره بين الأئمة قول إمامنا الشافعى - في بعضهم - : كنا نعد من الأبدال، وقول البخارى في غيره : كانوا لا يشكون أنه من الأبدال، وكذا وصف غيرهما من النقاد والحفاظ والأئمة غير واحد بأنه من الأبدال، ونقل عن يزيد بن هارون - أحد الحفاظ - قال : الأبدال هم أهل العلم، وعن الإمام أحمد : إن لم يكونوا

(١) وهى موجودة في الحاوى، وطبعت مفردة في مكتبة القاهرة الأزهر وعليها تعليقات مؤلفنا الشيخ عبد الله القمارى - رحمه الله تعالى - وكل كلام الشيخ عن الأبدال هنا مأخوذ من هذه الرسالة، وأما عن تصحيحه لأحاديث الأبدال ففيه بحث واسع لا يتسع له المقام، والأئمة ابن الجوزى وابن عراق والشوكانى وغيرهم أوردوا كثيراً منها في مؤلفاتهم حاكمين عليها بالوضع. فتنبه!!

أصحاب الحديث فمن هم؟ ومن وصف بأنه من الأبدال : الحسن البصري، وحماد بن سلمة، وأبو توبة الحلبي شيخ أحمد بن حنبل، والإمام الشافعي، ومحمد بن واسع، وحسان بن أبي سنان، ومالك بن دينار، ووكيعة بن الجراح، وخالد بن معدان، وغيرهم كثير تجد تراجمهم في كتب الرجال وطبقات الحفاظ، ومن راجع تذكرة الحفاظ للذهبي، وتهذيب التهذيب لأبي حنبل، وجد فيها كثيراً من الحفاظ وصفوا بالبديلة، وبعد هذا فاستمع إلى بعض الأحاديث في هذا الموضوع:

١ - عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ « يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره فيبائعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق » الحديث، رواه أبو داود وأحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والحاكم والبيهقي وهو حديث صحيح.

٢ - عن شريح بن عبيد قال : ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب عليه السلام - وهو بالعراق - فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين، قال : لا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يسقى بهم الغيث، وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » رواه أحمد بإسناد صحيح إلا أن فيه انقطاعاً بين شريح وعلي<sup>(١)</sup>، ورواه الحسن بن عرفة وابن عساكر عن شريح أيضاً قال : ذكر أهل الشام عند علي عليه السلام فقالوا : يا أمير المؤمنين العنهم ! فقال : لا ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الأبدال بالشام يكونون، وهم أربعون رجلاً، بهم تسقون الغيث، وبهم تنصرون على أعدائكم، ويصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق » وفي المستدرک عن عبد الله ابن زريق البغافقي أنه سمع علياً يقول : لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال، وسبوا ظلمتهم، صححه الحاكم وسلمه الذهبي، والآثار عن علي عليه السلام في الأبدال كثيرة واردة بطرق متعددة، وهي مرفوعة حكماً لأنها لا مجال للرأي فيه .

٣ - عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً

(١) علي أن شريحاً سمع من المقداد وهو أقدم من علي، قاله الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (ف) .

مثل خليل الرحمن، فبهم تسقون وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر» قال سعيد : وسمعت قتادة يقول : لسنا نشك أن الحسن - البصري - منهم، رواه الطبراني في الأوسط، قال الحافظ الهيثمي : إسناده حسن .

٤ - عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل خليل الرحمن عز وجل، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً» رواه أحمد، وهو حديث حسن، وفي مسند البزار ومعجم الطبراني عنه أيضاً قال قال رسول الله ﷺ «لا يزال في امتي ثلاثون بهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون» قال قتادة : إني أرجو أن يكون الحسن منهم، وقوله في هذا الحديث «ثلاثون» لا ينافي أنهم أربعون كما في الأحاديث الكثيرة، لأن العدد لا مفهوم له، أو أخبر أنهم ثلاثون ثم أعلمه الله بزيادتهم إلى أربعين .

٥ - عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « خيار امتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون، ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه، وأدخل من الأربعين مكانهم» قالوا : يا رسول الله دلنا على أعمالهم، قال «يعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله» رواه الطبراني وأبو نعيم وتمام وابن عساكر، وروى الحلال في كرامات الأولياء عنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ «لا يزال أربعون رجلاً يحفظ الله بهم الأرض، كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر، وهم في الأرض كلها» وهذا الحديثان وإن كانا ضعيفين فهما مؤيدان بالأحاديث السابقة وغيرها .

#### بم استحق الأبدال تلك الرتبة؟

رتبة البدلية من الرتب العزيزة، لا تنال إلا بشروط بينتها الأحاديث والآثار، فإذا ادعى شخص أنه من الأبدال، أو ادعى فيه ذلك، وكان خلواً من تلك الشروط علمنا أن دعواه باطلة، وعرفنا أنه من جملة الدخلاء الذين شوهوا التصوف وأهله بما اقترفوا من آثام، فمن شروط الأبدال ما تقدم قريباً : أنهم يعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله تعالى، وهذه صفات عزيزة قل من يتخلق بها، ومن شروطهم ما جاء في حديث عن علي عليه السلام قال : سألت رسول الله ﷺ عن

الأبدال؟ قال «هم ستون رجلاً» فقلت : يا رسول الله حلهم لى، قال « ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعقلين، لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكن بسخاء الأنفس، وسلامة القلوب والنصيحة لأئمتهم » رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء، والخلال فى كرامات الأولياء، وزاد فى رواية أخرى «إنهم يا على فى أمتى أقل من الكبريت الأحمر» وجاء فى حديث أنس عن النبى ﷺ قال «إن دعامة أمتى عصب اليمين وأبدال الشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر، ليسوا بالمتماوتين ولا بالمتهاالكون ولا بالتناوشين، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة صوم ولا صلاة، وإنما بلغوا ذلك بالسخاء وصحة القلوب والمناصحة لجميع المسلمين» وورد عن الحسن البصرى قال : قال رسول الله ﷺ «إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة بجميع المسلمين» رواه الحكيم الترمذى والبيهقى فى شعب الإيمان وغيرهما . وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء عن بكر ابن خنيس رفعه «علامة أبدال أمتى أنهم لا يلعبون شيئاً أبداً» فالمبتدعة ومن على شاكلتهم من المتنطعين والمتعقلين والمتزمتين لا نصيب لهم فى رتبة البدلية، وكذلك المتماوتون المتهاالكون الذين يتكلفون السمات والوقار . نعم، ولا ينالها اللعانون الطعانون، سفهاء اللسان، خبيثاء القلب، ولذا قال الحارث ابن حومل لرجاء بن حيوة - وهما تابعيان - : يارجاء اذكر لى رجلين صالحين من أهل بيسان - بلد بالشام - فانه بلغنى أن الله تعالى اختص أهل بيسان برجلين صالحين من الأبدال، لا يموت واحد إلا أبدل الله مكانه واحداً، ولا تذكر لى مهما متماوتاً ولا طعناً على الأئمة فإنه لا يكون منهما الأبدال، رواه ابن عساكر وغيره، فالأبدال أسخياء سمحاء، سليمو الصدور لا يحملون حقداً ولا غشاً، أعفاء اللسان لا يلعبون ولا يسبون وهم - إلى جانب هذا - إيجابيون فى الحياة، يرحمون المسلمين، وينصحونهم ويسعون فى إيصال الخير لهم، وبركاتهم وتوجهاتهم ينزل الغيث، ويكشف الكرب، ويحصل النصر على الأعداء، لا جرم إن كان انقراضهم فى آخر الزمان إيذاناً بانقراض الخير، وانتفاء الدنيا، كما جاء فى حديث عن أنس مرفوعاً « فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة » رواه الترمذى الحكيم وابن شاهين وابن عدى وغيرهم .

### «النجباء والنقباء والأوتاد والغوث»<sup>(١)</sup>

هذه رتب في الولاية اصطلاح عليها الصوفية، وهي مأخوذة عن سلف الأمة وأئمتها، فمن أبي الطفيل - وهو صحابي - عن علي عليه السلام قال: الأبدال بالشام، والنجباء بالكوفة، رواه ابن عساكر، وروى عنه أيضا قال: الأبدال من الشام والنجباء من أهل مصر، والأخيار من أهل العراق، وروى ابن عساكر أيضا عن أحمد بن أبي الخوارى قال: سمعت أبا سليمان يقول: الأبدال بالشام، والنجباء بمصر، والعصب باليمن، والأخيار بالعراق، وروى هو والخطيب البغدادي عن الكتاني قال: النقباء ثلاثمائة، والنجباء سبعون، والبديلاء أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد، فمسكن النقباء المغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته، العمد بضم العين والميم هم الأقطاب، وهم أربعة في كل وقت، والعصب بضم العين وفتح الصاد، ويقال: عصائب كما تقدم في حديث أم سلمة، طائفة من الزهاد كما في النهاية وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو حاتم الرازي - الإمام العلم - حدثنا عثمان بن مطيع حدثنا سفيان بن عيينة قال: قال أبو الزناد - أحد شيوخ الإمام مالك - : لما ذهبت النبوة - وكانوا أوتاد الأرض - أخلف الله مكانهم - يعني الأنبياء - أربعين رجلا من أمة محمد ﷺ، يقال لهم الأبدال لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه، وهم أوتاد الأرض، قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين إبراهيم عليه السلام، لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام، ولا بحسن التخشع ولا بحسن الخلية، ولكن بصدق الورع، وحسن النية، وسلامة القلوب، والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله، بصبر حلیم، ولب رحيم، وتواضع في غير مذلة، لا يلعنون أحدا، ولا يؤذون أحدا، ولا يتطاولون على

(١) الأحاديث المذكورة تحت هذا العنوان أحاديث واهية وموضوعة، لا يجوز عند أهل الحديث روايتها إلا

ليبين وضعها فكيف بالمؤلف - رحمه الله تعالى - يذكرها محتجاً بها.

ثم أعلم أنه ليس لأحد من الناس أن يعترض على الصوفية ما اصطلاحوا عليه، إذ لأهل كل فن أن يصطلحوا على ما شاءوا ما دامت المعاني صحيحة موافقة لأصل الشرع، لأنه لا تأثير للالفاظ عند اتحاد المدلول.



أحد تحتهم ولا يحقرونه، ولا يحسدون أحداً فوقهم، ليسوا بمتخشعين ولا متماوتين ولا معجبين، لا يحبون لدنيا، ولا يحبون الدنيا، ليسوا اليوم فى وحشة، ولا غداً فى غفلة.

### الكرامات

اتفق أهل السنة على إثبات الكرامات وأن الله يخص بها بعض أوليائه، للدلالة الدالة على وقوعها فى الكتاب الكريم والسنة الصحيحة بل المتواترة، قال الإمام أبو الحسن الأشعري - إمام الأشاعرة - فى كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»: جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردون من ذلك شيئاً، وذكر العقيدة إلى أن قال: وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم، وقال فى آخر العقيدة: فهذه جملة ما يأمر به، ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، ونقله الحافظ ابن القيم فى كتابه «حادى الأوراح إلى بلاد الأفراح» وقال الإمام الحافظ القدوة محيى الدين النووى فى كتابه «بستان العارفين»: اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة فى الأعصار، ويدل عليها دلائل العقول، وصرائح النقول، أما دلائل العقل فهى أمر يمكن حدوثه، ولا يؤدى وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدوراً كان جائز الوقوع، وأما النقول فآيات فى القرآن العظيم، وأحاديث مستفيضة. وفى شرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى: ظهور كرامات الأولياء، تكاد تلحق بمعجزات الأنبياء، وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء، وإنما العجب من بعض فقهاء السنة حيث قال فيما روى عن إبراهيم بن أدهم أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية، وفى ذلك اليوم بمكة - : أن من اعتقد جواز ذلك يكفر، والإنصاف ما ذكره الإمام النسفى حين سئل عما يحكى أن الكعبة كانت تزور أحداً من الأولياء، هل يجوز القول به؟ فقال: نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة، وليت شعري ماذا كان يقول ذلك الفقيه المتسرع إلى الإكفار لو رأى مخترعات اليوم، وشاهد الطائفة تنقل الشخص فى بضع ساعات مسافات كانت تقطع فى شهور، فإذا

كان العلم وصل إلى هذا وأكثر منه فكيف نستبعده على قدرة الله تعالى؟! وما يعاب على فقهاء الحنفية تسرعهم إلى الإكفار لأسباب بعيدة عن الكفر، ومن قرأ باب الردة في كتبهم رأى العجب!! من ذلك قولهم من صغر عمامة العالم فقال عميمة فانه يكفر!! لانه صغر ما عظم الله!! وما ثبت بالشهرة ما حكاه العلامة أحمد بابا التنبكتي المالكي في «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» عن الشيخ عبد الخالق التونسي عن شيخه شعيب بن الحسن الأندلسي الشهير بأبي مدين الغوث - وهو شيخ ابن العربي الحاتمي - قال سمعت أن رجلا يسمى موسى الطيار يطير في الهواء، ويمشي على الماء، وكان رجل يأتيني عند طلوع الفجر فيسألني عن مسائل الناس، فوقع لي ليلة أنه موسى الطيار الذي أسمع به، فلما طلع الفجر نقر الباب رجل فإذا هو الذي يسألني، فقلت له: أنت موسى الطيار، قال نعم، ثم سألني وانصرف، ثم جاءني مع آخر، فقال لي: صليت الصبح ببغداد، وقدمنا مكة فوجدناهم في الصبح فأعدنا معهم وبقينا في مكة حتى صلينا الظهر فجفتنا القدس، فوجدناهم في الظهر، فقال صاحبي هذا: نعيد معهم فقلت: لا فقال: ولم أعدنا الصبح بمكة؟ فقلت له: كذلك كان شيخى يفعل، وبه أمرنا، فاختلفنا قال أبو مدين: فقلت لهم: أما إعادة الصبح بمكة فانها عين اليقين، وببغداد علم اليقين، وعين اليقين أقوى من علم اليقين، وصلاتكم بمكة وهى أم القرى فلا تعاد في غيرها، قال: ففقمنا به وانصرفا.

والمقصود أن كرامات الأولياء أجمع على إثباتها علماء السنة، ووافقهم من المعتزلة أبو الحسين البصري، وقد أفرد هذا الموضوع بالمؤلفات الكثيرة، وكتابنا «الحجج البينات في إثبات الكرامات» مهم جداً ينبغي مراجعته، ففيه مالا يوجد في غيره، مع تخريج الأسانيد، وتوخى الصحة بغاية الدقة ونشير هنا إلى بعض الأدلة توفية للبحث حقه.

١ - الأمر الخارق للعادة إن ظهر على يد مدعى النبوة فاما أن يكون قبل النبوة أو بعدها، فإن كان قبلها كشق صدره الشريف، وإظلال الغمامة له في مسيره إلى الشام، سمي إرهابا وإن كان بعدها فإما أن يكون مصحوبا بالتحدي كالقرآن وانشقاق القمر، فيسمى معجزة. وإما أن يكون غير مصحوب بالتحدي كحنين الجذع ونبع الماء من الأصابع الشريفة، فيسمى آية، وإن ظهر الخارق للعادة على يد مدعى النبوة بخلاف

مراده سعى إهانة، مثل ما روى أن مسيلمه الكذاب دعا لأعور بأن يفتح الله عينه، فعسى . ومسح بيده رأس يتيم، فقرع . وبلغه أن النبي ﷺ تغل في بئر فكثر ماؤها وعذب، بعد أن لم يكن كذلك، فتغل هو في بئر ليعذب ماؤها فصار ملحا أجاجاً، وإن ظهر الخارق على يد مؤمن صالح فهو الكرامة، أو على يد فاسق كالساحر مثلاً فهو استدراج، وقد يقع الخارق لبعض عوام المسلمين تخليصاله من محنة أو مكروه، ويسمى معونة.

٢ - قولهم : « ما وقع معجزة لنبي، جاز أن يكون كرامة للولي » محمول على الآيات التي لم يقع بها التحدى، أما المعجزة التي وقع بها التحدى كالقرآن الكريم فلا . نبه على هذا المعنى العلامة الأبي في شرح مسلم، ونحوه قول القشيري : إن كرامات الأولياء لا تنتهى إلى نحو ولد دون والد اهدشير إلى ولادة عيسى عليه السلام فهي آية من الله لنبيه ولأمه بسببه كما قال تعالى ( وجعلنا ابن مريم وأمه آية ) وقال تعالى ( قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ) .

٣ - فى القرآن الكريم آيات تثبت كرامات الأولياء، منها قصة أصحاب الكهف ونومهم أكثر من ثلاثة قرون . الخ ما قصه الله من خبرهم العجيب ولم يكونوا أنبياء ومنها قصة مريم عليها السلام وأن زكريا عليه السلام ( كلما دخل عليها المهراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ) وقد كانت صديقة بنص القرآن، ومنها فى قصة سليمان عليه السلام قول الذى عنده علم من الكتاب ( أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ) وأتى به فى غمضة عين أى سرير ملكة سبا . وأما الأحاديث فكثيرة جداً نذكر منها عشرة كلها صحيحة .

١ - عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما - أى لا أقدم فى شرب اللبن عليهما - أهلا ولا مالا .

فناى بى طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقديح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانقرجت شيئا لا يستطيعون الخروج» قال النبي ﷺ «قال الآخر: اللهم كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى فاردتها عن نفسها فامتنعت منى حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرف عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها» قال النبي ﷺ «وقال الثالث: اللهم استأجرت أجرا وأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك الذى له وذهب، فشمرت أجره حتى كثرت منه الاموال، فجاءنى بعد حين، فقال لى: يا عبد الله أد إلى أجرى فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بى، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فانطلقوا يمشون». رواه البخارى ومسلم.

٢ - عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلى جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلى، فقالت: اللهم لا تمته حتى تریه وجوه المومسات، وكان جريج فى صومعته فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت: من جريج، فاتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال: من ابوك يا غلام؟ فقال: الراعى. وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بنى إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابنى مثله، فترك ثديها فأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه» قال أبو هريرة كانى أنظر الى النبي ﷺ يمص أصبعه، «ثم مر بأمه، فقالت: اللهم لا تجعل

ابنى مثل هذه، فترك ثديها وقال : اللهم اجعلنى مثلها، فقالت له ذلك، فقال :  
الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون : سرقت زنت، ولم تفعل، رواه  
البخارى ومسلم.

٣ - عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى  
إسرائيل أن يُسلفه ألف دينار، فقال اتتنى بالشهداء أشهدهم، قال : كفى بالله  
شهيدا، قال : فأتتنى بالكفيل، قال : كفى بالله كفيلا، قال : صدقت، فدفعتها إليه  
إلى أجل مسمى، فخرج فى البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم  
عليه للأجل الذى أجله، فلم يجد مركبا، فآخذ خشبة فنقرها فادخل فيها ألف  
دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال :  
اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار، فسألنى كفيلا، فقلت : كفى  
بالله كفيلا، وسألنى شهيدا فقلت : كفى بالله شهيدا، فرضى بك، وإنى جهدت أن  
أجد مركبا أبعث إليه الذى له، فلم أقدر، وإنى أستودعكها، فرمى بها فى البحر  
حتى ولجت فيه ثم انصرف، وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج  
الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التى فيها المال  
فأخذها حطبا لاهله، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذى كان أسلفه  
فأتى بالألف دينار فقال : والله ما زلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما  
وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه، قال : هل كنت بعثت إلى بشئ؟ قال : أخبرك  
أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه، قال : فان الله قد أدى عنك الذى بعثت  
الخشبة، وانصرف بالألف دينار راشدا، رواه البخارى وأحمد والنسائى وابن حبان  
وغيرهم.

٤ - عن أبى هريرة أيضا أن النبى ﷺ قال : بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى  
سحابة : اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فافرغ ماءه فى حرة، فاذا شرجة  
من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتنبع الماء فاذا رجل قائم فى حديقة  
يحول الماء بمسحاته، فقال له : يا عبد الله ما اسمك؟ قال : فلان، للاسم الذى سمع  
فى السحابة فقال له يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى؟ فقال : إنى سمعت صوتا فى  
السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال :  
أما إذ قلت هذا فإنى أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وأكل أنا وعتالى ثلثا،

وأورد فيها ثلثه « رواه مسلم في صحيحه .

٥ - عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما أسرى بى مرت بى رائحة طيبة، فقلت : ما هذه الرائحة؟ قالوا ما شطة بنت فرعون وأولادها، سقط مشطها من يدها، فقالت : بسم الله، فقالت ابنة فرعون : أبى؟ قالت : ربي هو ربك ورب أبيك، قالت : أولك رب غير أبى؟ قالت : نعم، فدعاها فقال : ألك رب غيرى؟ قالت : نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها، فآلقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم، فقال : قعى يا أمة ولا تقاعسى، فإنك على الحق » رواه أحمد وابن أبي شيبه والبزار وأبو يعلى والبيهقي، وصححه الحاكم وابن حبان وغيرهما .

٦ - عن أبي سعيد الخدري أن أسيد بن حضير بينما هو يقرأ ليلة في مريده إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضاً، قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى . - ابنه - فقمت إليها فإذا هو مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فغدوت على رسول الله ﷺ، فقلت : يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مريد لي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ « اقرأ يا ابن حضير » قال : فقرأت ثم جالت أيضاً فقال « اقرأ يا ابن حضير » قال : فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال « اقرأ يا ابن حضير » قال : فانصرفت، وكان يحيى قريباً منها فخشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ « تلك الملائكة كانت تتسمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم » رواه الشيخان، ورواه مسلم من حديث البراء بن عازب .

وكان أسيد بن حضير حسن الصوت كما في رواية أبي عبيد عن أبي بن كعب، وجاء في رواية الإسماعيلي أن النبي ﷺ قال له « اقرأ أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود » وكان يقرأ في تلك الليلة سورة البقرة كما في رواية البخاري، ووقع نظير هذه الكرامة لصحابي آخر اسمه ثابت بن قيس بن شماس، فروى أبو عبيد في فضائل القرآن عن جرير بن يزيد : أن أشياخ أهل المدينة : أن رسول الله ﷺ قيل له : ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تنزل داره البارحة تزهر مصابيح ؟ قال « قلعله قرأ سورة البقرة » قال : فسئل ثابت، فقال : قرأت سورة البقرة .

٧ - عن أنس أن أسيد بن حضير ورجلا من الأنصار تحدثا عند رسول الله ﷺ حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا وبید كل منهما عصاه، فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر، فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله، رواه عبد الرزاق وهذا لفظه وأحمد والبخارى والحاكم وغيرهم، وفي رواية للأخيرين تعيين الرجل من الأنصار بأنه عباد بن بشر.

٨ - روى مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصارى - والد جابر - كانا في قبر واحد - وهما ممن استشهد يوم أحد فحفر السيل قبرهما فحفر عليهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه، فدفن وهو هكذا فأشيلت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين ما حفر عليهما ستة وأربعون سنة وروى البغوى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجرى عينا إلى أحد فكتب إليه عامله: إنها لا تجرى إلا على قبور الشهداء فكتب إليه: أن أنقذها قال جابر: فرأيتهم - يعنى شهداء أحد - يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوم حتى أصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فانبعثت دماً وهذه القصة بلغت حد الاستفاضة أو التواتر لأن عامل معاوية نادى في المدينة يحض الناس أن يخرجوا لنقل موتاهم فخرج من لا يحصى من الأنصار وغيرهم وشاهدوا هذه الكرامة العجيبة بعد بضع وأربعين سنة من استشهادهم رضى الله عنهم.

٩ - روى مالك في الموطأ بإسناد على شرط الصحيحين أن أبا بكر رضى الله عنه استرجع عند وفاته أرضاً كان وهبها لعائشة رضى الله عنها وقال - يطيب خاطرهما - : إنما هما أخواك وأختاك أى لم أسترجع الأرض الموهوبة إلا لمصلحة الورثة الذين هم إخوتك قالت لأبيها رضى الله عنهما: إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ - أى ليس لى أخت غير أسماء فمن الثانية؟ فأجابها الصديق رضى الله عنها: ذو بطن بنت خارجة - هي امراته وكانت حاملا - أراها جارية فولدت بعد وفاته بنتا.

١٠ - روى الطبرانى بإسناد رجاله رجال الصحيح - كما قال الحافظ الهيثمى - عن

سعيد بن عبد العزيز أن عمار بن ياسر رضى الله عنهما أقسم يوم أحد فهزم  
انذركون وأقسم يوم الجمل - اسم موقعة - فغلبوا أهل البصرة وقيل له يوم صفين  
- بكسر الصاد والفاء المشددة موضع كان فيه قتال بين علي عليه السلام وبين  
معاوية - لو أقسمت فقال لو ضربونا بأسيا فهم حتى نبليغ سعات هجر لعلمنا أنا  
على الحق وهم على الباطل فلم يقسم فقتل يؤمئذ وقال يوم أحد : أقسمت يا  
جبريل وياميكال لا يغلبنا معشر ضلال، إنا على الحق وهم جهال. وقد أخرج  
الطبراني في الأوسط عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «كم من ذى  
طمرين لا ثوب له لو أقسم على الله لأبره منهم عمار بن ياسر». وباب الكرامات بحر  
خضم مترامى الأطراف، وفي كتابنا «الحجج البينات في إثبات الكرامات» استيفاء  
بالغ لكثير من أنواعها المتعددة فعليك بقراءته.

### «حلقات الذكر»

للمحافظ السيوطي رضى الله عنه في هذا الموضوع رسالة اسمها «نتيجة الفكر في  
الجهر بالذكر» قال في أولها:

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، سألت أكرمك الله عما اعتاده  
السادة الصوفية من عقد حلقات الذكر والجهر به في المساجد ورفع الصوت بالتهليل، وهل  
ذلك مكروه أولاً؟ الجواب: أنه لا كراهة في شيء من ذلك، وقد وردت أحاديث تقتضي  
استحباب الجهر بالذكر، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به، والجمع بينهما: أن  
ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، كما جمع النووي يمثل ذلك بين الأحاديث  
الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن، والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها. ثم  
أورد خمسة وعشرين ما بين حديث وأثر، نقتطف منها ما يلي:

١ - روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى أنا عند ظن  
عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى  
فى ملا ذكرته فى ملا خير من ملائه» قال والذكر فى الملا لا يكون إلا عن جهر،  
قلت: والحديث رواه بقية الستة إلا أبا داود.

٢ - روى البزار بإسناد صحيح عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال «قال الله تبارك وتعالى:  
يا ابن آدم إذا ذكرتنى خاليا ذكرتك خاليا وإذا ذكرتنى فى ملا ذكرتك فى ملا خير



من الذين تذكرني فيهم» .

٣ - روى الشيخان واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم - من أين جئتم؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال : فما يسألوني؟ قالوا : يسألونك جنتك، قال : وهل رأوا جنتي؟ قالوا : لا أي رب، قال : وكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا : ويستجيرونك، قال : ومم يستجيرونني؟ قالوا : من نارك يارب، قال : وهل رأوا ناراً؟ قالوا : لا يارب، قال : فكيف لو رأوا ناراً، قالوا : ويستغفرونك، قال : فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال : يقولون : يارب فيهم فلان عبد خطاء، إنما مرفلس معهم، فيقول : وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» .

٤ - روى البيهقي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «إذا مررت برياض الجنة فارتعوا» قالوا : يارسول الله وما رياض الجنة، قال «حلق الذكر» قلت : رواه الترمذي وحسنه .

٥ - روى الطبراني وابن جرير عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : لما نزلت على رسول الله ﷺ - وهو في بعض أبياته - «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي» الآية، فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله تعالى، منهم نائير الرأس، وجاف الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رأهم جلس معهم وقال : «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم» وروى أحمد في الزهد عن ثابت قال : كان سلمان في عصابة يذكرون الله، فمر النبي ﷺ فكفوا، فقال «ما كنتم تقولون؟» قلنا : نذكر الله، قال «إني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها» ثم قال «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم» قلت : للحديث طرق كثيرة .

ثم قال السيوطي : إذا تأملت ما أوردنا من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه لا كراهة البتة في الجهر بالذكر، بل فيه ما يدل على استحبابه إما صريحاً أو التزاماً، وأما

معارضته بحديث «خير الذكر الخفي» فالجمع بينهما بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء، أو تاذى به مصلون، أو نيام، والجهر في غير ذلك أفضل، لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائده تتعدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همه، ويصرف سمعه إليه ويطرده النوم، ويزيد في النشاط، وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث، فإن قلت : قال : الله تعالى (اذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول) قلت : الجواب من ثلاثة أوجه «أحدها» أنها مكية كآية الإسراء (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وقد نزلت حين كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن، فيسمعه المشركون فيسيئون القرآن ومن أنزله، فأمر بترك الجهر سداً للذريعة، كما نهى عن سب الأصنام لذلك في قوله تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) وقد زال هذا المعنى الآن، أشار إلى ذلك ابن كثير في تفسيره. «الثاني» أن جماعة من المفسرين منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير حملوا الآية على الذاكر حالة قراءة القرآن، وأنه أمر له بالذكر على هذه الصفة تعظيماً للقرآن أن ترفع عنده الأصوات، ويؤيده اتصالها بقوله (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) «الثالث» ما ذكره الصوفية أن الأمر في الآية خاص بالنبي ﷺ الكامل المكمل، وأما غيره ممن هو محل الوسواس والخواطر الرديئة فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيراً في دفعها. فإن قلت : فقد قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) وقد فسر الاعتداء بالجهر في الدعاء، قلت : الجواب من وجهين «أحدهما» أن الراجع في تفسيره أنه تجاوز المأمور به، أو اختراع دعوة لا أصل لها في الشرع، ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي نعام أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول : اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، فقال : اني سمعت رسول الله ﷺ يقول «سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء» فهذا تفسير صحابي وهو أعلم بالمراد، «الثاني» على تقدير التسليم فالآية في الدعاء لا في الذكر، والدعاء بخصوصه الأفضل فيه السر، لأنه أقرب إلى الإجابة، ولذا قال تعالى : (إذا نادى ربه نداء خفياً) ومن ثم استحباب الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتفاقاً، لأنها دعاء، فإن قلت : فقد نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوما يهللون برفع الصوت في المسجد، فقال : ما أراكم إلا مبتدعين، حتى أخرجهم من المسجد. قلت : هذا الأثر يحتاج إلى بيان سنده، ومن أخرجه من الأئمة الحفاظ في كتبهم، وعلى تقدير ثبوته فهو معارض بالأحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة، وهي مقدمة عليه عند التعارض، ثم

رأيت ما يقتضى إنكار ذلك عن ابن مسعود ، قال الإمام أحمد فى كتاب الزهد : حدثنا حسين بن محمد حدثنا المسعودى عن عامر بن شقيق عن أبى وائل قال : هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر، ما جالست عبد الله مجلساً قط إلا ذكر الله فيه ، وأخرج أحمد فى الزهد عن ثابت البنانى قال : إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال، وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شئ.

هذا ملخص رسالة نتيحة الفكر، وهى مطبوعة بتعليقاتى عليها، فليراجعها من أرادها.

### الذكر بالاسم المفرد<sup>(١)</sup>

اعترض بعض الفقهاء على الصوفية عنايتهم بالاسم المفرد، ولهجهم به، زاعماً أن الذكر به بدعة، وأنه لا يشتمل على جملة مفيدة مثل الأذكار الواردة نحو لا اله إلا الله، والحمد لله، والله أكبر، وإلى غير ذلك، وقد تولى الرد على هذا الاعتراض مولانا الشيخ الإمام الوالد رضى الله عنه فى بحث واف كاف، ننقله بنصه، من مجموعة فتاواه وبحوثه فى علوم مختلفة ، قال - تغمد الله برضوانه - : الحمد لله، ما ننقله الخطاب آخر باب الردة من شرحه مختصر خليل من أن عز الدين بن عبد السلام سئل عمن يذكر بصيغة : الله الله . مقتصراً على ذلك، هل هو مثل سبحان الله، والحمد لله ؟ الخ . فاجاب بقوله : هذه بدعة لم تنقل عن رسول الله ﷺ ، ولا عن أحد السلف . إلخ مردود من وجوه «أولها» ما ورد فى صحيح مسلم من قوله عليه الصلاة والسلام «لا تقوم الساعة

(١) كلام الصوفية عن الذكر بالاسم المفرد دائر حول دعويين - كما هو صنيح مؤلفنا هنا - الأولى : حول مشروعية الذكر بالاسم المفرد، والثانية : حول جعلهم إياه من أذكار الخاصة من الأولياء .  
والحق أن كلا منهما بدعة فى الدين لا تجوز، وأدلة المؤلف على ذلك لا تثبت بحال، وأرى أن الوقوف فى ذلك يكون عند الوارد، إذ إنه من أسباب جلب الوارد، والصوفى من كان تابعاً للسلف فى معتقده، ورحم الله القتائل :

فكل خير فى اتباع من سلف وكل شر فى ابتداع من حلف  
فأى ذكر هو أفضل من قولنا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ : «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله»، فاتبع سبيل المصطفى ﷺ وصحابته الأخيار، وسبيل الصادقين فى التنوجه إلى رب العالمين، تكن من الأوليين والابن، والله يتولانا وإياك ويوفقنا لما فيه رضاه .

حتى لا يبقى من يقول : الله . الله . وفي رواية له « حتى لا يقول أحد : الله . الله . فإن هذا الحديث الشريف شاهد لذكره وتكراره كما ترى ، ولا سيما على رواية النصب ، وقد رد جماعة من المحققين به على ابن عبد السلام ، منهم سيدى عبد القادر الفاسى ، والعارف الشعرانى ، وابن عبد السلام بنانى ، وجماعة يطول ذكرهم « ثانيها » أنا لا نسلم أن الذكر لا يكون إلا جملة ، فقد قال تعالى ( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ) بناء على أن المراد بالدعاء الذكر والتسمية . « ثالثها » أنا وإن سلمنا أن الذكر إنما يكون جملة فقول الذاكر : الله . الله جملة تقديرا ، إذ معناه : يا الله ، أو الله أعظم ، أو الله أكبر ، أو نحو ذلك .

وحذف النداء مع المندوب والمضمر والمستغاث جائز اتفاقا كما فى الألفية ، « رابعها » ما ورد فى بعض الأحاديث من أن العبد إذا قال : الله ، يشهد له كل من يسمعه ، ذكره ابن زكرى والعهد عليه ، « خامسها » تواطؤ السادات للصوفية على ذكره والاستهتار به - أى الولوع به - سلفهم وخلفهم ، وهم من الصديقين . وقد قالوا : إذا اختلفت أقاويل العلماء فعليك بما قاله الصديقون منهم ، لمزيد نورهم ، وكمال عرفانهم ، وقربهم من الله ورسوله ، والسادات الصوفية لاختلاف عندهم فى ذكره ، بل لا يصح عندهم الفتح والسير فى المقامات إلا بواسطته ، ولهم فيه تأليف وترتيبات ، على حسب الأحوال والمقامات ، قال العارف المحقق شهاب الدين أحمد الغزالى : مادمت ملتفتا إلى ما سوى الله فلا بد لك من النفى والإثبات بلا إله إلا الله ، ومادمت تعتمد على رياسة العلم والجاه ، فلا بد لك من النفى والإثبات بلا إله إلا الله ، ومادمت ترى فى الوجود سواه ، فلا بد من لا إله إلا الله ، فإذا غبت فى الكل عن الكل استوحشت من نفى لا إله ، ووقفت على إثبات إلا الله ، ( قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ) (١) .

وقال العارف الشعرانى فى المتن : ومما من الله به على : مواظبتى - أول دخولى لطريق

(١) كلام الشيخ أحمد الغزالى - رحمه الله - فى هذا المقام مغالطة صريحة ، إذ فيه نسبة النقص لاهل الكمال - عليهم الصلاة والسلام - فيقول خاتمهم وسيدهم ﷺ : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله » ، وكلام الشيخ شامل الأمر بتركه ، ولم يعرف عن اهل التحقيق من الصوفية ذلك . ثم إن الاستدلال على جواز الذكر بالاسم المفرد بقوله تعالى : ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ غير صحيح ، وليس فيه طلب الذكر به على الإطلاق ، بل مقيد بما جاءت به الآية من أنه جواب على سؤال اهل الشرك إرسال الرسل ، قال تعالى : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ [الأنعام : ٩١] .

القوم - على ذكر الله بلفظ الجلالة الله، أربعاً وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة على عدد الأنفاس الواقعة في الليل والنهار، ليكون حكماً - إن شاء الله - حكم من لم يغفل عن الله نفساً واحداً، ثم قال : قال الشيخ محيي الدين : وينبغي لمن يذكر الله بلفظ الجلالة أن يحقق الهمزة ويسكن الهاء، فإن فتح الهاء وأسقط الهمزة ووصل الهاء باللام المدغمة كان تلفظه بها كتلفظه بكلمة : هلا . فلا يفتح عليه بشئ، لأنه تعالى ما هو مسمى بذلك الاسم ثم قال : وصورة الذكر بالجلالة أن يقول : الله . الله . حتى ينقطع نفسه . اهـ .

وذكر أبو على الدقاق أن رجلاً كان يقول : الله الله . دائماً، فأصاب حجر رأسه فشجه فقطر منه الدم وكتب على الأرض : الله الله، وبقي النور في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم وهو يقول : الله . الله . الله .، فأعلم الجنيد بذلك فقال : انظروا أمحفوظة عليه أوقاته أم لا؟ فقالوا له : إنه يصلي الفرائض، فقال : الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً، وسئل الشبلي : لم تقول : الله . الله، ولا تقول : لا إله إلا الله؟ فقال : لا أبغي له ضداً، فقال السائل : أريد أعلى من هذا، فقال أخشى أن أؤخذ بين وحشية النفي الإثبات فقال أريد أعلى من هذا فقال : (قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) فزعق السائق ومات، فتعلق أولياؤه بالشبلي فقال لهم : روح دعيت فسمعت فلبت واجابت فما ذنبي؟ فقال الخليفة : خلوا سبيله، لا ذنب له . قال العارف أبو الوفاء : وتعليل هذا المذهب أن نفي الشيء إنما يحتاج إليه عند حضور ذلك الشيء بالبال فمن لا يخطر بباله شريك لا يكلف نفي الشريك، والكامل لا يخطر بباله ولا بخياله إلا الله فيكفيه أن يقول : الله . الله . اهـ، وقال القطب الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه : ليكون ذكرك : الله . الله، فإن هذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمرة فبساطه العلم، وثمرته النور، وليس النور مقصوداً لذاته، بل لما يقع به من الكشف والعيان، فينبغي الإكثار من ذكره، واختياره على سائر الأذكار لتضمنه لجميع ما في لا إله إلا الله من العقائد والعلوم والآداب والحقوق، فإنه يأتي في : الله، وفي : هو، ما لا يأتي في غيرهما من الأذكار . اهـ .

قال الشيخ زروق : ولهذا اختاره المشايخ ورجحوه على سائر الأذكار، وجعلوا له خلوات، ووصلوا به إلى أعلى المقامات والولايات، وإن كان منهم من اختار في الابتداء لا إله إلا الله وفي الانتهاء الله . الله . اهـ .

وقال ابن حجر في الفتاوى الحديشية: ذكر لا إله إلا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً بلسان أهل الظاهر، وأما عند أهل الباطن فالحال عندهم يختلف باختلاف حال السالك، فمن هو في ابتداء أمره ومقاساة شهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلق بها يحتاج إلى النفى والإثبات حتى يستولى عليه سلطان الذكر، فإذا استولى عليه فالأولى له لزوم الإثبات أعني: الله . الله . اهـ باختصار .

وقال الجنيد: ذاكر هذا الاسم ذاهب عن نفسه متصل بربه، قائم بأداء حقه، ناظر إليه بقلبه، قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته . اهـ . قال الشيخ محيي الدين: ومن أراد أن يفتح عليه بذكر هذا الاسم الشريف فليتخذ خلوة وليترك سائر الأذكار (١) والأوراد غيره، ولا يذكره من حيث إنه يدل على العين فقط، بل لا بد أن يستحضر أنه يذكر من لا تحصره الأكوان، ومن له الوجود المطلق التام، فبهذا الاستحضار تحصل الثمرة التي هي النور الذي يقع به الشهود والعيان، وهذا الاستحضار هو المعبر عنه بالبساط . اهـ . وفي صلاة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش: الله . الله . الله ثلاث مرات، أفيجترئ أحد أن يفوه في ذلك بعبث ١٩ أو طعن وريب ١٩ كلا، وكيف؟ وأصول الشريعة لا تأباه، ولا تدل على خروجه عن ذكر الله لا لفظاً ولا معنى، إلى غير هذا من نصوص أولياء الله الدالة على استحباب ذكره . قال شيخ الشيوخ سيدي عبد القادر الفاسي - بعد كلام في هذا المعنى - : ولا يخفى هذا على من له ممارسة باصطلاحهم، فيكفيها التسليم والتصديق لما قصرت عنه مداركنا من مذاهبهم، «فاشدد يديك على تسليم ما فعلوا، وظن خيراً ولا تعباً بمن عدلاً» . إذ التصديق بطريقهم ولاية، والاعتراض عليهم جنابة، قال: وليس في كلام عز الدين تصريح بإنكار أو بغيره بل غاية ما قال: إنه لم ينقل عن السلف، وكم من أشياء لم تنقل عن السلف وهي مشروعة، إذ البدعة تنقسم إلى الأقسام الخمسة كما هو معلوم، فلا ينبغي الإنكار على من يذكر هذا الاسم الشريف، ولا التوقف فيه . اهـ . كلام سيدي عبد القادر الفاسي وهو وحده كاف في رد كلام ابن عبد السلام، والله تعالى أعلم . اهـ . قلت: ثبت عن بلال رضي الله عنه الذكر بالاسم المفرد، قال أبو داود: قرئ على سلمة بن شبيب وأنا

(١) قول الشيخ محيي الدين - رحمه الله - «وليترك سائر الأذكار» إبطال في البعد عن السنن والآثار، ونهى عن تتبع سنة النبي المختار - صلى الله عليه وآله وسلم - وعفى عنا وعنه وعن جميع المسلمين العزيز الغفار .

شاهد، قال: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عطاء الخراساني قال: كنت عند سعيد بن المسيب فذكر بلالا فقال: كان شحيحاً على دينه، فإذا أراد المشركون أن يقاربهم قال: الله. الله. وذكر بقية الحديث في شراء أبي بكر رضي الله عنه بلالا وإعتاقه، وثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر رضي الله عنه فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم أدراع الحديد وأصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه. فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد. أحد. وهذا خبر مشهور ورد في كتب السيرة بطرق، فكيف يقال بعد هذا: إن الذكر بالاسم المفرد لم ينقل عن السلف!!؟ على أن الأوامر التي حضت على ذكر الله في الكتاب والسنة - وهي كثيرة - تشمل الذكر بالاسم المفرد لا محالة، فاشتراط وروده بعينه - رغم شمول مطلق الأوامر له - تعسف ياباه الإنصاف، ونريد أن نقول - زيادة على ما تقدم -: إن الشارع أذن في إنشاء أذكار من بنات أفكار الذاكر، بل حض عليها. فروى الطبراني في الأوسط بسند جيد كما قال الحافظ الهيثمي عن أنس أن رسول الله ﷺ مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته ويقول: يا من لا تراه للعيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يخطفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يعلم مشاقيل الجبال، ومكايل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، لا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتيمه وخير أيامي يوم الفاك فيه، فلما فرغ من صلاته دعاه النبي ﷺ، وهب له ذهباً أهدي له من بعض المعادن، وقال: وهبت لك الذهب بحسن ثنائك على الله عز وجل فتأمل هذا الحديث تجده ياذن في إنشاء أذكار وأدعية من غير تقييد بالوارد، بل يمكننا أن نقول: كل ما أنشأه الصوفية من أذكار وأوراد وأدعية فهو من قبيل الوارد لدخوله في عموم هذا الحديث، وبالله التوفيق.

### موقف العلماء من الصوفية

علمت - فيما سبق أول الكتاب - أن الدين يبنى على ثلاثة أركان: الإيمان، الإسلام، الإحسان، وأن التصوف هو مقام الإحسان، وأن المقامات والأحوال التي يتكلم

فيها الصوفية كلها واردة في الكتاب أو السنة بالعبارة الصريحة، أو الإشارة الواضحة، وأن الصحابة - خصوصاً منهم أهل الصفة - كانوا متخلفين بأخلاق الصوفية، وكذلك التابعون وتابعوهم وهلم جراً، وعلى هذا فلا عجب أن يكون موقف علماء المسلمين من الصوفية موقف التأييد والتعاضد والمساندة، وكان الأئمة أهل الفقه والكلام، وأكابر أعلام الإسلام - كما يقول الحافظ السيوطي - يصحبون أهل الطريق، ويحضرون مجالس وعظهم ويبالغون في الثناء عليهم، وينقلون عباراتهم وإشاراتهم في دروسهم وتصانيفهم.

#### وإليك بعض الأدلة على ذلك:

١ - نقل الإمام زروق في قواعده، والتتائي عن الإمام مالك أنه قال: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق أهـ فانظر كيف اعتبر الإمام مالك رضي الله عنه التصوف والفقه جزءين متلازمين لا يتم أحدهما إلا بالآخر.

٢ - قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين، وفي رواية: سوى ثلاث كلمات، قولهم الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، وقولهم: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وقولهم: العدم عصمة، نقله الحافظ السيوطي وغيره، والإمام الشافعي يعمده الصوفية من الابدال.

٣ - روى الحاكم والخطيب بسند صحيح عن إسماعيل بن إسحاق السراج قال: قال لي أحمد بن حنبل: يبلغني أن الحارث هذا - يعني المحاسبي - يكثر الكون عندك، فلو أحضرته منزلك وأجلستني في مكان أسمع كلامه، ففعلت، وحضر الحارث وأصحابه، فأكلوا وصلوا العتمة، ثم قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت إلى قريب نصف الليل، ثم أخذ الحارث في الكلام، وكان على رؤسهم الطير، فمنهم من يبكي، ومنهم من يخر، ومنهم من يزعم، وهو في كلامه، فصعدت الغرفة فوجدت أحمد قد بكى حتى غشي عليه، فلما تفرقوا قال أحمد: ما أعلم أنني رأيت مثل هؤلاء ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا، وعلى هذا فلا أرى لك صحبتهم أهـ.

قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب: إنما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصوره



عن مقامهم، فإنه مقام ضيق لا يسلكه كل أحد ويخاف على من يسلكه ألا يوفيه حقه اهـ.

وقال الحافظ الخطيب أيضاً في تاريخ بغداد: أخبرنا أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيرى أنبأنا محمد بن الحسين السلمى قال: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يحكي عن ابن الأعرابي قال: قال أبو حمزة: كان الإمام أحمد بن حنبل يسألني في مجلسه عن مسائل ويقول: ماتقول فيها يا صوفي؟ قلت: كفى بهذا القول من الإمام أحمد رداً على مقلديه كابن تيمية وأذنبه الذين ينكرون على الصوفية، ويرمونهم بالكفر والإلحاد، هذا وأما ما اشتهر بين كثير من الناس أن الشافعي وأحمد اجتماعاً بشيخان الراعي وسألاه عن أشياء في الصلاة والزكاة، فليس بصحيح، لأن الإمامين لم يدركا زمن شيخان بل كانا بعده كما في المقاصد الحسنة للحافظ السخاوي.

٤ - كان أبو العباس بن سريج - أحد أئمة الشافعية - يحضر مجلس الجنيد ويسمع كلامه، ويقول: أشهد أن لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل، وروى القشيري في الرسالة والخطيب في تاريخ بغداد من طريق أبي الحسين على بن إبراهيم الحداد قال: حضرت مجلس أبي العباس بن سريج فتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن أعجبت به، فلما رأى إعجابي قال: هذا ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد.

٥ - ذو النون المصري أحد أئمة الصوفية وعظمائهم، قال الحافظ أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر: كان عالماً فصيحاً حكيماً أصله من النوبة، وقال الحافظ مسلمة بن قاسم: كان رجلاً صالحاً زاهداً عالماً ورعاً متفناً في العلوم واحداً في عصره، ولم يسلم من نقد الجهلة واعتراضاتهم، ولهذا قال الحافظ الذهبي في الميزان: كان - ذو النون - ممن امتحن وأوذى لكونه أتاهم بعلم لم يعهدوه، كان أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال وفي مقامات الأولياء، فقال الجهلة: هو زنديق، قال السلمى: لما مات أظلت الطيور جنازته اهـ. ومثله في لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني، وهذه الشهادة من هذين الحافظين الكبيرين تدمغ أعداء الصوفية - خصوصاً الخانقين - بالجهل.

٦ - ذكر التاج السبكي في طبقات الشافعية عن ابن السمعاني أنه روى بسنده أن أبا

القاسم القشيري - صاحب الرسالة القشيرية - حج سنة من السنين، وقد حج في تلك السنة أربعمئة نفس من قضاة المسلمين وأئمتهم من أقطار البلاد وأقاصي الأرض، فأرادوا أن يتكلم واحد منهم في حرم الله، فاتفق الكل على الاستاذ أبي القاسم، فتكلم هو باتفاق منهم.

٧ - ذكر التاج السبكي أيضاً أن الأئمة كانوا يحضرون مجالس أبي نصر عبد الرحيم بن أبي القاسم القشيري، وهو صوفى كآبيه، وممن كان يحضر دروسه في الكلام الإمام أبو إسحاق الشيرازي فقيه العراق، وشيخ الشافعية على الإطلاق، قال السبكي أيضاً: ومما عظم به أبو نصر أن إمام الحرمين - وهو عصره - نقل عنه في كتاب الوصية من النهاية وهذا فخار لا يعدله شيء أ هـ.

٨ - قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله - وهو من فقهاء المالكية ومشايخ الصوفية - في كتاب «لطائف المنن»: سمعت الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد - وهو إمام مجتهد - يقول ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وقال أيضاً وأخبرني الشيخ مكين الدين الأسمر، قال: حضرت بالمنصورة في خيمة فيها الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ مجد الدين علي بن وهب القشيري - هو والد تقى الدين ابن دقيق العيد - والشيخ مجد الدين الإخميمي والشيخ محيي الدين ابن سراقه والشيخ أبو الحسن الشاذلي، ورسالة القشيري تقرأ عليهم وهم يتكلمون، والشيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم، فقالوا: يا سيدي نريد أن نسمع كلامك، فقال أنتم سادات الوقت وكبرأؤه، وقد تكلمتم. فقالوا: لا بد أن نسمع منك، فسكت الشيخ ساعة، ثم تكلم بالأسرار العجيبة، والعلوم الجليلة، فقال الشيخ عز الدين - وقد خرج من صدر الخيمة وفارق موضعه -: اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله. أ هـ قلت: كان اجتماع هؤلاء الأعلام في المنصورة سنة ٦٤٨ هجرية، لحضور المعركة الفاصلة بين المسلمين والصليبيين، وقد انتهت بانكسارهم وأسر لويس التاسع ملك فرنسا، ويؤخذ من هذه القصة احترام العلماء - خصوصاً سلطان العلماء وتلميذه ابن دقيق العيد - للصوفية في شخص أبي الحسن الشاذلي زعيم الطائفة ومجدد رسومها، كما يؤخذ منها اشتراك الصوفية في الواجبات الدينية كالجهاد وغيره مما يعود على المجتمع الإسلامي بالخير العميم، وإذا لاحظنا أن الشاذلي حضر تلك المعركة بعد أن كف بصره وجاء

يسعى إليها من الإسكندرية، علمنا ما كان يأخذ به الصوفية أنفسهم من التمسك بعزائم الأمور، ومشاق الأشياء، ولا غرو في ذلك فهم أهل عزيمة صادقة، وهمة خارقة، وحزم لا يلين، وجد في العمل والدأب متين، وكأنا عناهم الشاعر بقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم

٩ - كان العلماء الأجلاء يحضرون دروس تاج الدين ابن عطاء الله السكندري، وكانت حلقات دروسه في الأزهر أرحب الحلقات، يرتادها أعظم الجماعات، ومن أخذ عنه طريق الشاذلية وتخرج به في التصوف: الإمام الحافظ المجتهد قاضي القضاة تقي الدين السبكي وقرأ عليه كتاب الحكم له، وقال فيه: إنه متكلم الصوفية على طريق الشاذلية، وعلى ذكر كتاب «الحكم» نقول: إن العلماء اعتمدوا به قراءة وشرحاً ونظماً، فكان يدرس في الأزهر إلى عهد قريب، وآخر من أقرأه شيخنا عالم مصر ومفتيها الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفى رحمه الله، وكان يدرس أيضاً بجامع القرويين بفاس، وهو أكبر معهد علمي بشمال أفريقيا، بنى قبل الأزهر بخمسين سنة وحضر فيه أئمة أعلام مثل ابن خلدون والمقرئ صاحب نفع الطيب، أما شروح الحكم فلا تكاد تحصى كثرة، ولقد شرحه الشيخ زروق ثلاثين شرحاً، وشرحه العلامة المحقق الشيخ الطيب بن كيران شرحاً مؤيداً بالسنة فأعقب كل حكمة بحديث يؤيد معناها، وهو شرح نفيس يقع في مجلدين، ومن شروح الحكم شرح جدنا الإمام، الولي الكبير، والقطب الشهير أبي العباس أحمد بن عجيبة الحسنى المتوفى سنة ١٢٢٤، وهو شرح عظيم يقل نظيره بين الشروح على كثرتها، ونظم الحكم جماعة كثيرون منهم شقيقنا الأكبر الحافظ أبو الفيض السيد أحمد بن الصديق، وفي دائرة المعارف الإسلامية أن الحكم ترجمت وشرحت باللغة التركية وغيرها (١).

(١) حقاً إن كتاب «الحكم» لسيدى ابن عطاء الله السكندري - رحمه الله - عظيم القدر والمنزلة، عالى المقام والمنفعة، طبع مكتبة القاهرة - الأزهر، ومثله كتب سيدى أحمد زروق الفاسى - رحمه الله - «قواعد =

١٠ - ذكر العلامة القاضى أبو عبد الله محمد الطالب ابن الحاج فى حاشية المرشد المعين - وهو منظومة فى التوحيد والفقہ المالکى والتصوف - : أن غالب من یشار إلیه من علماء الظاهر ممن له تمیز وشفوف، ونبوغ فى الحفظ والإتقان إنما نال بمخالطة بعض العارفين کابن سريج بمخالطة الجنید، والعز ابن عبد السلام بمخالطة أبى الحسن الشاذلى، والتقى بن دقیق العید بمخالطة أبى العباس المرسى اهـ والأدلة كثيرة جداً على أن العلماء كانوا یعتبرون التصوف من الدین، ویعدون الصوفیة من الصفوة المختارين.

تم بحمد الله کتاب

## الإعلام

بأن التصوف من شریعة الإسلام

للإمام الفاضل :

عبد الله الصديق الغمارى

إشراف :

محمد بن على بن يوسف

= التصوف « وه إعانة المتوجه المسكين إلى طریق الفتح والتمکين » وه عدة المرید الصادق «، وهى مما یتأكد قراءتها لكل مرید .. والله أعلم بالصواب .

## فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
– مقدمة المحقق .....	٣
– مقدمة المؤلف .....	٧
– الحديث الأول: (الإحسان – المراقبة – المشاهدة) .....	١٤
– الحديث الثاني: (محاربة الله لمن عادى أولياءه – المجاهدة – الفناء في الله) .....	١٦
– الحديث الثالث: (علم الظاهر والباطن) .....	١٧
– الحديث الرابع: (للقرآن ظاهر وباطن) .....	١٩
– الحديث الخامس: (علوم الحقائق لا ينكرها إلا المغرضون) .....	٢١
– الحديث السادس: (علم الباطن هو العلم النافع) .....	٢٢
– الحديث السابع: (الإلهام والتحديث) .....	٢٣
– الحديث الثامن: (الحقيقة) .....	٢٥
– الحديث التاسع: (المكاشفة) .....	٢٨
– الحديث العاشر: (الخلوة والانقطاع إلى الله) .....	٢٩
• الفتوة .....	٣١
• الأولياء .....	٣٧
• الأبدال .....	٤٠
• بم استحق الأبدال تلك الرتبة .....	٤٢
• النجباء والنقباء والأوتاد والغوث .....	٤٤
• الكرامات .....	٤٥
• حلقات الذكر .....	٥٢
• موقف العلماء من الصوفية .....	٥٩
– الفهرس .....	٦٥

حقوق الطبع والنشر والتوزيع

## مكتبة القاهرة

الرئيسي: ١٢ ض الصناديق بالأزهر

الفرع: ١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ت: ٥٩٠٥٩٠٩ - ص. ب. ٩٤٦

العتبة - القاهرة

التوزيع: مكتبة الثقافة العربية

ميدان العدوى - الحسين - الأزهر

ت: ٥٩٣٠٣٠٧